

كتاب الادب والمروءة

«عني بنشره الشيخ طاهر الجزائري»

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين قال صالح بن جناح : اعلم ان العرب قد تجعل للشيء الواحد اسما وتسمى بالشيء الواحد اشياء فاذا صنع لك ذكر شيئا فاذكره باحسن اسمائه فان ذلك من المروءة وانما المرء بمروءته فالمرءة اجتناب الرجل ما يشينه واجتناء ما يزينه وانه لامروءة لمن لا ادب له ولا ادب لمن لا عقل له ولا عقل لمن ظن ان في عقله ما يغنيه ويكفيه عن غيره وشتان ما بين عقل وافر معه خمسون عقلا كلها وافر مثله واوفر منه ومن عقل وافر لا فائدة معه وفي ذلك اقول شعراً :

وما ادب الانسان شيئا كعقله * ولا زينة الا بحسن التأدب

وقال ان الاقنعة مزارع اللسن ففنها ما ينبت مازرع فيه من حسن ولا ينبت ماسمج ومنها ما ينبت ماسمج ولا ينبت ما حسن ومنها ما ينبت جميع ذلك ومنها ما لا ينبت شيئاً وان من المنطق لما هو اشد من الحار وانفذ من الابر وامر من الصبر واجر من الأسته وانكد من زحل ولربما احتقرت كثيراً منه على حرارته ومرارته ونكده مخافة ما هو احر منه وامر واقطع وانكد وفي ذلك اقول شعراً :

لقد اسمع القول الذي كاد كلما * يذكرني الدهر قلبي يصدع

فابدي لمن ابداه مني بشاشة * كأني مسرور بما منته اسمع

وما ذاك من عجب به غير اني * ارى ان ترك الشر للشر اقسطع

وقال في ذي الوجهين : من اظهر ما تحب او تكره فانما يقاس ما اضمربا اظهر لانك لا تقدر ان تعرف ما اسر وقال :

ليس المسمي اذا تغيب سره * عندي بمنزلة المسمي المعلن

من كان يظهر ما احب فانه * عندي بمنزلة الامير المحسن

والله اعلم بالقلوب وانما * لك ما بدا لك منهم بالالسن

ولقد يقال خلاف ذلك انما * لك ما بدا لك منهم بالاعين

وقال في الصدود : اما بعد فقد احضرتني من صدك ما آتيني من ودك ولم يزل
يجري في لحظك ما يدخلني في رفضك ويداني على غل صدرك وفي ذلك اقول
شعراً :

تظل في قلبه البغضاء كأمته * فالقلب بكتها والعين تبديها
والعين تعرف في عيني محدثها * من كان من حزنها او من يعاديها
عينك قد دلنا عيني منك على * اشياء لولاهما ما كنت ادريها
ان الامور التي نخشى عواقبها * ان السلامة منها ترك ما فيها
وقال في كثرة المال وقلته : لا تستكثر مال احد ولا تستقله حتى : لم ماعياه فان
من كثر ماله وعياله فهو مقل ومن قل ماله وعياله فهو مكثر

وقال في ذكر الاحق ودخوله فيما لا يعنيه : واكثرهم دخولا فيما لا يدخل فيه
وارضاه بما لا يكفيه — عدوه اعلم بسره من صديقه وصديقه قد غص منه بريقه
ولا يثق بمن نصحه ولا يتهم من خدعه ولا يأمن الا من يخونه ولا يحفظ الا من
يحفظه ولا يكرم الا من يهينه اشبه شيء خلقا بالثيم ان احسنت اليه لم يشكر وان
اسأت اليه لم يشعر لا يتفكك من وجه الا شريك من وجوه : ان اقبل عليك لم
يسرك وان ادبر هتك لم يسرك ان افسد شيئاً لم يحسن ان يصلحه وان اصلح شيئاً
افسده ان احبته فرأى منك حسناً لم يحسن ان ينسره وهو مع ذلك بخبطه اشد
اعجاباً من العاقل بصوابه ان جلس الى العلماء لم يزد الا جهلاً وان جلس الى الحكماء
لم يزد الا طيشاً وانما جعل نفسه المحدث لهم بكلفهم ان يكونوا المنتصين له اعيان الناس
اذا تكلم والبلد اذا تعلم واصحبهم لمن يشينه وارفضهم لمن يزينه واشدهم في موضع
اللين واللينهم في موضع الشدة واجبنهم في موضع الشجاعة ان افتقر عجب من الناس
كيف يستغنون وان استغنى عجب من الناس كيف يفتقرون لا يفهم ان حدثه ولا
يفقه ان افهمته ولا يقبل ان وعظته ولا يذكر ان ذكرته وفي ذلك اقول شعراً :

المزمع يصرع ثم يشقى دأؤه * والحق داء ليس منه شفاء

والحق طبع لا يحول مركب * ما ان لاحق فاعلمن دواء

وقال في ذكر الهوى : ان من الناس من اذا هوى عمي ومنهم من اذا هوى ابصر
مرة وعمي اخرى ومنهم من اذا هوى لم يكذب يخفى عليه شيء وهو اللبيب العاقل الحليم
الكامل الذي ان اعجبه امر نظر الى هواه وعقله فان اتفقا اتبعهما وان اختلفا اتبع

عقله وترك هواه وكان امره معتدلاً يشبه بعضه بعضاً وقليل ما هم وفي ذلك اقول شعراً :

املك هواك اذا دعاك قريباً * قاد الخليم الى الهلاك هواه
الله يسعد من يشاء بفضلہ * واذا اراد شقاءه اشقاءه
وقال ايضاً سيفه اس تحسن وجوههم عند حاجتهم وتغير وجوههم عند غناهم
شعراً :

ارى قوما وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم النسا
وان كانت حوائجنا اليهم * تغير حسن اوجهم علينا
ومنهم من سيمتع مالهديه * وبغضب حين يمتنع مالهدينا
فان يك فعلهم شحاً وفعلی * قبيحاً مثله فقد استويننا
وقال فيمن فعل امراً لا يحسن ان يحتال له : اعلم ان من قاتل بغير عدة او خاصم
بغير حجة او صارع بغير قوة فهو الذي صرع نفسه وخضم نفسه وقتل نفسه فان ابتليت
بقتال احد او محاسمته او مصارعته فاحسن الاعداد له واعرف مع ذلك عدته
وابصر حجتة واخبر قوته كما يخبر قوتك وحجتك وعدتك فان رأيت تقدماً والا كان
التأخر قبل التقدم خيراً من التندم بعد التقدم وفي ذلك اقول شعراً :

اذا ما اردت الامر فاعرفه كله * وقسه قياس الشرب قبل التقدم
لعلك تجو سألماً من ندامة * فلا خير في امر اتى بالتندم
وان من الناس من يبرز حجة او عدة او قوة فتكون عدته هي التي تقتله وقوته
التي تصرعه وحجته التي تخصمه وذلك انه ربما اذل لقاتل قبل ان يعلم اهو اعد
ام الذي يقاذه وكذلك في الذي يخاصمه ويصارعه فاذا هو قد قتل او صرع او خضم
فلم ينفعه جودة عدته ولا قوة حجتة حين اتى الامر من غير جهته وفي ذلك اقول :

اذا ما نيت الامر من غير وجهه * تصعب حتى لا ترى منه مرئفا
فان الذي يصطاد بالفخ ان عتا * على الفخ كان الفخ اعنى واضيقا
وقال في الذي يعاتب الناس بنير مودتهم ويوجب حق نفسه عليهم : لاندع
الناس الى برك واجلال امرك وتعظيم قدرك بالمعاتبة ولكن ادعهم الى ذلك بما
تستوجب منهم وانظر الامر الذي اكرم به من هو اعد منك وقرب به من انت
اقرب منه فالزمه فانك ان تلزمه لم تحتاج معه الى معاتبة ولا استبداء حق لانك ان

دعوتهم الى نكرمتك بغير ماتسوجب التكرمة به فالتما دعوتهم الى اهانتك اما بكلام
يجرحك واما بفعل نقدحك وان دعاهم الى ذلك فضلك اجابوا اما بشئ يرفعك او
يجزاه ينفعك .

وقال في معرفة الاخوان انك لن تعرف احاك حق المعرفة ولن تخبره حق الخبرة
ولن تجرب به حق التجربة وان كنتما في دار واحدة حتى تسافر معه او تعامله بالدينار
والدرهم او تنفع في شدة او تحتاج اليه في مهمة فاذا بلوته في هذه الاشياء فرضيته
فانظر فان كان اكبر منك فاتخذ ابا وان كان اصغر منك فاتخذ ابنا وان كان مثلك
فاتخذ اخا وكن به اوثق منك بنفسك في بعض المواطن وقال : كن من الكرم على
حذر ان اهنته ومن اللئيم ان اكرمه ومن العاقل ان اخرجته ومن الاحمق ان مازحته
ومن الفاجر ان عاشرتة ولا تدل على من لا يحتمل ادلالك ولا تقبل على من لا يجب
اقبالك وكن حذرا كأتك غر وكن ذا كرا كأتك ناس والزم الصمت الى ان
يلزمك التكلم فما اكثر من يندم اذا نطق واقل من يندم اذا لم ينطق واذا ابتليت
فعند ذلك تعرف جودة مناعتك وقلة زلك وسعة عفوك وقلة حيلتك ومنفعة قوتك
وحسن تخلصك واعلم ان بعض القول انمض من بعض وبعضه ابين من بعض وبعضه
اخشن من بعض وبعضه الين من بعض ولو كان واحدا فان الكلمة اللينة لثمين من
القلوب ما هو اخشن من الحديد وان الكلمة الخشنة لثمين من القلوب ما هو الين من
الحرير وان اعظم الناس بلاء وادومهم غناء واسلوهم شقاء من ابتلي بلسان مطلق
وفوقه مطبق فهو لا يحسن ان ينطق ولا يقدر ان يسكت واعلم ان ليس يحسن ان
تجيب من لا يسألك ولا تسأل من لا يجيبك وفي ذلك اقول شعرا (١)

ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكذرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حلم اذا ما لورد الامر اصدرا

وقال في الرفق بالدواب : ان رفق الرجل بدوابه وحسن تعاوده لها وقيامه عليها
عمل من اعمال البر وسبب من اسباب النقي ووجه من وجوه المروءة : وقال التدبير مع
المال القليل خير من المال الكثير مع سوء التدبير وانما المنفقون ثلاثة جواد مبذر
وكريم مقدر ولثيم مقتروف في ذلك اقول شعرا :

رب مال سينعم الناس فيه * وهو عن ربه قليل الفناء

(١) نية هذين البيتين الى نفسه من قيل اليوم فانها من قصيدة النايبة الجعدي

كان يشقى به وينصب حيناً * ثم امسى لعشر غريباً
 ماله عندهم جزاء اذا ما * انعموا فيه غير سوء الثناء
 رب مال يكون غماً وزماً * وغني يعد في الفقراء

وقال في تصنيف الطعام اذا كنت ممن يؤكل طعامه وتحضر مائدته ويؤكل معه فليكن الذي يتولى صتعة طعامك من الب الناس في عمله وانطقهم في يديه ولا تدع اعلامه ان احسن ولا انذاره ان اساء فان تعبتك عليه خبر من تعبت الناس عليك واعلم ان لكل شيء غاية وان غاية الاستنقاء التنظيف في الاستنجاء والاكثر من الماء حتى يستوي اليدان والريح والمنظر فانه لاطيب اطيب من الماء ولو انه المسك وما اشبهه من الاشياء وانما يستدل على نظافة الرجل بنقاء ثوابه وانما يكون القدر في الحقي من الرجال والنساء وبه يستدل على بلادهم وفي ذلك اقول شعراً
 ولا خير قبل الماء في الطيب كله * وما الطيب الا الماء قبل التطيب

وما انظف الاحرار في كل مطعم * وما انظف الاحرار في كل مشرب
 وقال في صفة العدو والصديق : احرم ان لا يراك صديقك الا انظف ماتكون ولا يراك عدوك الا احسن ماتكون فاما الصديق فان كان الذي اعجبه منك خلقك او خلقك ولها كان يحبك فكلما ازددت حسناً كان حبه لك اكثر ورغبته فيك اوفر (واكثر) عنده واكثر لك في صدره (١) وادوم له على عهدك واما العدو فليس شيء اعجب اليه من دمايتك وخسامتك فاحترس منه واطهر الخليل فليس شيء اعجب اليه من التمكن منك فانظر ان لا يكون شيء اعجب اليك من التحصن منه

وقال في العقل والادب : اعلم ان العقل امير وان الادب وزير فان لم يكن وزير ضعف الامير وان لم يكن امير بطل الوزير وانما مثل العقل والادب كمثل الصيقل والسيف فان الصيقل اذا اعطي السيف اخذه فصقله فعاد جمالاً ومالاً وعفدا يعتمد عليه وينتجى اليه فالصيقل الادب والسيف العقل فاذا وجد الادب عقلاً تفقه ووقفه وقواه وسدده كما يصنع الصيقل بالسيف واذا لم يجد عقلاً لم يعمل شيئاً لانه لا يصلح الا ما وجد وان من السيوف لما يصقل ويسقى ويخدم ثم يباع بادني الثمن ومنها ما يباع بزينته دراويز جداً وذلك على نحو الحديد وجودته اوردايته وكذلك الرجال يتأهبان بادب واحد ثم يكون احدهما انفذ من الآخر اضعافاً مضاعفة وانما ذلك على

(١) وجدت هذه الجملة بالاصل من غير نقط طبع

قدر العقل وقوته في الاصل وفي ذلك قلت شعراً

وقد يصلح التأديب من كان عاقلاً * وان لم يكن عقل فلن ينفع الادب

وقال في المراء: اذا اجتمع اهل نوع فتذاكروا على نوعهم ذلك فلم يكن اصل كل واحد منهم ان ينفع بما استمع وينتفع بما سمع فاعلم ان تذاكرهم ذلك من اول المراء يصدع العلم ويوهن الود ويورث الجلود وينشيء الشحنة وينغل القلب وفي ذلك اقول شعراً

تجنب صديق السوء واصرم حباله * فان لم تجد عنه محيصاً فداره

واحجب صديق الخير واحذر مراءه * نزل منه صفو الود ما لم تماره

وقال في الحكمة: اما ما يستمع من كثير من الحكمة فان اوله شيء يخطر على الالئدة اذا خطر وهو اصغر من الخردلة وادق من الشعرة واهن من البعوضة ثم تحركه الالئنة وتنبذه الالئدة كما يحاك البرد وكما يمد النهر فيعود اكثر من الكثير واوثق من الحديد واثنى من الجوهر واحسن من الذهب وانفع من كليهما لانه يزيد في المنطق ويزكي الذهن ويعين على الابلاغ ويتجمل به القائل ويتقلب فيه كيف يشاء ويختار منه ما يشاء فينتفع به اللطيف ويقل به السفيه ويتزايد به الكفيف ويتأيد به الضعيف ويزداد به الابد قوة في منطق وبلاغة في كتبه فيكون في حفظه منفعة للخطباء في خطبتهم وللبلغاء في بلاغتهم وكتبتهم وللكرماء في بشاشتهم وللشعراء في قصائدهم فاذا كنت ممن يؤلف حكمة او يضع رسالة او يذكر في مهمة فلا تكلم قلبك ولا تكلم ذهنك فانه اذا اكراه كل ووقف ولكن ان كنت في شيء من ذلك فاستعن بالتفرغ منه على التفرغ له والنأخر عنه على التقدم فيه فان الذهن يجم كما يجم البرو ويصفو كما يصفو الماء .

وقال في الكلام واخراجه: اعلم ان مثل الكلام كمثل الحجارة فمنها ما هو اعز من الذهب والفضة ومنها ما لا يعطى في الصخرة العظيمة منه درهم وفي ذلك قول شعراً

وما الحجر الكبير اعز فيما * خلفت به من الحجر الصغير

وكم ابصرت من حجر خفيف * صغير يبع بالثمن الكثير

وقال في خالقة الوجه وحسن الخلق: كن اسهل ما تكون وجهاً واظهر ما تكون بشراً واقصر ما تكون امدا واحسن ما تكون خلقا والين ما تكون كنفاً واوسع ما تكون

اخلاقاً فان الایام والاشیاء عقب ودول فان انكرت منها شيئاً يوماً ما كان (ما)
انكرت منها شيئاً خفياً على اهل الشئانة وعلى اهل الصفاء واحذر ان تحزن من يحبك
وتفرح من يحسدك فلم ار في مصاب الدهر مصيبة اوحش من تغيير النعمة وان
انت لم تنكر منها شيئاً ودامت لك بما تريد فما من الدنيا شيء تناله بدعة ورفق الا وهو
اهناً مائيل يتعب ونصب فاما من كفي وعوفي فما يصنع بالغضب والتضايق رانها هم
العمر ونكد الدهر وفي ذلك اقول شعراً

ما تم شيء من الدنيا علمت به * الا استحق عليه النقص والغیر
ولا تغير من قوم نعيمهم * الا تكدر منه الورد والصدر
فعاد غماً ولن تلقى امراً ابداً * (اغم) من ملك ايام يفتقر
وقال في الكذب :

كذبت ومن يكذب فان جزاءه * اذا ما اتي بالصدق ان لا يصدقاً
وقال فيه ايضاً

اذا ما رأيت المرء حلواً لسانه * كذوباً فابقن انه لا حياء له
ولا خير في الانسان ان لم يكن له * حياء ولا في كل من لا وفاء له
وقال في الاخوان

ليس من كان في الرخاء صديقاً * وعدو الصديق بعد الرخاء
عدة في اخائه لصديق * انما ذاك عدة الاعداء
لو خفرنا بذی اخاء امين * لاشترينا اخاءه بالغلاء
لو وجدنا اخاً متيناً اميناً * لانشأنا اخاءه للشفاء

اما الرفقاء في السفر والجلساء في الحضر والخلطاء في النعم والتركاء في العدم
فاحفظ مصاحبتهم وواظب على اخائهم وفي ذلك اقول شعراً

وكن اذا صحبت رجال قوم * صحبتهم وشيمتي الوفاء
فاحسن حين يحسن محبتهم * واجتنب الاساءة ان اساءوا
وابصر ما بعيبيهم بعين * عليها من عيوبهم غطاء
اريد رضاهم ابداً وآتي * مشيتهم واترك ما اشاء

لا تبدئن احداً بصغير مما يكره ولا بكبيره ولا بقليل مما يستخط ولا بكثيره فان
ابتدأك احد بشيء من ذلك فقد ردت على الانتصار منه فعفوت او انتصرت فما احسن

جميع ذلك الا ان العفرا اكرم والانتصار اعز وكلاهما حظ وفي ذلك اقول شعراً
(فما ذات باب بحمدك فيما علمت عليه من طرق الصواب ٥٥ ك

واي الناس الأم من سفيه * يقول ولا يخاف من الجواب

وقال في الجبل : اياك والجبل فانما تجهل على ثلاثة رجل انت اعز منه ورجل
هو اعز منك ورجل انت وهو في المز سواء فاما جهلك على من انت اعز منه فلو لم
واما جهلك على من هو اعز منك فخيف واما جهلك على من هو مثلك فمراش مثل
مراش الكلبين ولن يفترقا الا مفضوحين او مجروحين وليس هذا من فعال الحكماء
والعلماء الخليم ارزن والجهول انقص وفي ذلك اقول شعراً

ما تم علم ولا حلم بلا ادب * ولا تجاهل في قوم حليمان

ولا التجاهل الا ثوب ذي دنس * وليس يلبسه الا سفيهان

وقال في رؤية الرجل وخبره ان من الناس من يعجبك حين تراه وتزداد عند
الخبرة اعجاباً به) ومنهم من تبغضه حين تراه وعند الخبر تكون له اكثر بغضاً ومنهم
من يعجبك مخبره ولا يعجبك منظره ومنهم من يعجبك منظره ولا يعجبك مخبره وفي
ذلك اقول شعراً

ترى بين الرجال العين فضلاً * وفيما استمروا الغبن الغيب

ولون الماء مثبته وليست * تخبر عن مذاقه العيون

فلا تعجل بنطق قبل خبر * فعند الخبر تنصرم الظنون

وقال ايضاً في ذلك

وما صور الرجال بها امتحان * وما فيها لمعتبر بيان

ولكن فعلهم ينبيك عنهم * به تجب الكرامة والهوان

وما الانسان لولا اصفره * سوى صور يصورها البنان

وقال ايضاً

لم ازل ابغض كل امرئ * وجهه احسن من خبره

فهو كالغصن يرى ناصراً * ناعماً يعجب من زهره

ثم يبدو بعده ثمر * فيكون السم في ثمره

وقال في النهي عن التبيح : واذا رأيت من احد امراً فنهيت عنه فلم يحمدك
ولم يذم نفسه على مكانه او يحدث حدثاً تعلم انه قد انتفع بمقالتك فان ذلك عيب

آخر قد بدا لك منه لعله اقبح من الذي نهيته عنه وفي ذلك اقول شعراً :
 ولا نهيت غوياً من غوايته * الا استزاد كافي كنت اغريه
 ولا نصحت له الا تبين لي * منه انفا كافي كنت اغويه
 وقال في المواقفة : لا تواخ احداً الا على اختيار منك له وارتضاء منك به
 والفاق منه لك فاذا اتفق امركا كذلك فاعلم ان كلاكما يحسن ويبي ويصيب
 ويحتلي ويحفظ ويضيع قوم ان نفسك على الشكر اذا حفظ وعلى الصبر اذا اضاع
 وعلى المكافاة اذا احسن وعلى الاحتمال والمعاينة اذا اساء فان معاينة الصديق اذا اساء
 احب الى الخليم من القطيعة في معاينة من تواخيه وفي ذلك اقول شعراً :
 واذا عتبت على امري احبته * فتوق ضار عتبه وسبابه
 والن جناحك ما استلان لوده * واجب اخاك اذا دعا لجوابه
 واحرص ان تعرف موقعك من كل احد حتى من اييك وامك فان من السخافة
 ان تكون لايحك فيما يحب ويكون لك فيما تكره وما اقبح ان تكون له فيما يكره
 ويكون لك فيما يحب واعلم ان من تنفعك صداقته ولا تصرف عداوته الكريم الذي
 ان احسنت اليه كافاك وان اسأت اليه عاتبك واما من تصرف عداوته ولا تنفعك
 صحبته فهو الجاهل السفیه اللئيم وفي ذلك اقول شعراً :
 من الناس من ان يرض لا تنتفع به * ولكن متى يسخط فما شئت من ضرر
 ضعيف على الاعداء لكن قلبه * اشد اذا لاق الصديق من الحبر
 وقال في ثقل الدنيا شعراً :

انما الدنيا سراج * ضوءه ضوء معار
 بينا غصنك غصن * ناعم فيه اخضرار
 اذ رماء الدهر يوماً * فاذا فيه اصفرار
 وكذلك الليل باقي * ثم يحسوه النهار

وقال في المداراة : اذا هبمت بلداً اهلها على غير ما تعرف وانت على غير ما يعرفون
 فالزم كثيراً من المداراة فما اكثر من داري ولم يسلم فكيف من لم يكن منه مداراة
 وفي ذلك اقول شعراً :

ياذا الذي اصبغ لا والدآ * له على الارض ولا والده
 قدمات من قبلهما آدم * فاي نفس بعده خالده

ان جئت ارضا اهلها كاهن * عور فغمض عينك الواحد
وقال لثقاتن احداً تجدد من قتاله بدأ فأتانا الحق لمن غلب ولا غالب الا الله وان
آخر الدواء الكي فلا تجعله اولاً وفي ذلك اقول شعراً:

وكم رأينا من اغي غبطة * اصبح مسروراً وامسى حزينا

وكم فني يركب طاحونة * للحرب قد اصبح فيها طينا

وقال في الاعار والايار:

كم من صديق لنا ايام دولتنا * وكان يمدحنا قد صار يهجونا

انني لا عجب ممن كان يصحبنا * ما كان اكثرهم الا براونا

لم ندر حتى انقضت عنا امارتنا * من كان ينصفنا او كان يغوينا

من كان ينصفنا ما كان يصحبنا * الا ليخدعنا عما بايدنا

وقال في العلة والتفضل: لا يكن من وصلك احق بصلتك منك بصلته ولا من
تفضل عليك اولى بالتفضل منك عليه فانما انت وهو كرجلين ابتدرا اكرومة فقصر
احدهما وبلغ الآخر فانما القاصر قصر عن حفظ نفسه واما البالغ فبلغ بحصيل امره
وعظيم قدره

وقال في القدر: اذا كان الرجل لبيباً فاعلم انه كامل ولكن لن يقدمه ذلك الى
ما كان يطالب ولن يؤخره عما كان يحاذر الا بقدر يلقى به ما طلب ويسبق به
ما يحذر وان من الناس من يؤتي منطقاً وعقلاً ولا يؤتي مالا ومنهم من يؤتي
مالاً ولا يؤتي غيره فيحتاج مع ماله الى عقل ذي العقل ومنطقه ويحتاج ذو العقل
الى مال ذي المال ورغده وينهض هذا بهذا وهذا بهذا (١) فليس لاحدهما
اذا غنى عن الآخر) فاحوج الملك الى السوق واحوج السوق الى الملك

وقال في التفاضل: لا ثقل فلان اغنى مني وانا احزم منه فانه لو جمع العقل والشدة
والشجاعة والمال واشباه ذلك لقوم وبقي قوم لاشي لم يهلكوا ولكن الله عز وجل
قال اقم بقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات فاوتي بعضهم عقلاً وبعضهم قوة وبعضهم مالا مع اشياء مما يكون
فيه صلاحهم وبه معاشهم ثم احوج بعضهم الى بعض فعاشوا وانما مثل الرجل ورزقه
ومثل عقله وادبه ومروءته وحكمه كمثل الزامي ورميته فلا بد للزامي من سهم ولا بد

(١) في الاصل فليس لانيها اذا

لسهمه من قوس ولا بد لقوسه من وتر ولا بد لجميع ذلك من قدر يبلغ به مارشق
ويصيب به ما يبلغ ويحوز به ما اصاب والا فلا شيء فالرامي الزجل والرمية الرزق
ولا يجمع بينهما عقل ولا عز ولا شيء من ذلك الا بقدر وفي ذلك اقول شعراً :

ما للقوس الاعصا في كف صاحبها * يرعى بها الضان او يرعى بها البقر
او عود بان وان كانت معقفة * حتى يضم اليها السهم والوتر
وان جمعت لها هذين فهي عصا * حتى يساعد من يرمي بها القدر

وقال : ان حسن السميت وطول الصمت ومشى القصد من اخلاق الاتقياء وان
سوء السميت وترك الصمت ومشى الغيلاء من اخلاق الاشقياء فاذا مشيت فوق الارض
فاذكر من تحتها وكيف كانوا فوقها وكيف حلوا بطنها وكيف كانوا اعلم ان ابن
آدم اعز من الابد واشد من العمد مالم تصبه اذى شوكه وادى مرض وادى مصيبة
فاذا اصابه شيء من ذلك وجدته اهون من المدة وامهين من البعوضة فلا يغرك تجريره
وتكبره وتفرغته واستطالك وفي ذلك اقول شعراً :

ولاتمش فوق الارض الا نواضعا * فكم تحتها قوم هم منك ارفع
فان كنت في عز وحرز ومنعة * فكم طامع من قوم هم منك امنع
وقال في الغنى والقتوع : ان الغنى في القلب فمن غنيت نفسه وقلبه غنيت بداه ومن
افتقر قلبه لم ينفعه غناه وفي ذلك اقول شعراً :

اذا المرء لم يقنع بشيء فانه * وان كان ذاسل من الفقر موقر
اذا كان فضل الله يغنيك عنهم * فانت بفضل الله اغنى وايسر
وقال في الرأي والمشاورة : اذا استشير نفر انت احدهم فكن آخر من يشير فانه
اسلم لك من الصلف (١) وابعده لك من الخطأ وامكن لك من الفكر واقرب لك من
الحزم وفي ذلك اقول شعراً :

ومن الرجال اذا زكت احلامهم * من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يجول بكل واد قلبه * فيرى ويعرف ما يقول فينطق
فبذلك يطلق كل امر موثق * وبذلك يوثق كل امر يطلق
ان الحليم اذا تفكر لم يكذب * يثني عليه من الامور الاوفق
وقال في النعي عن مجالسة اهل الاهواء والبدع ومحادثتهم : اما هذه الاهواء فاني

لم ار احداً ازداد فيها بصيرة الا ازداد فيها عي لان امر الله اعز من ان تلحقه العقول ولم
 ار اثنين تكلمتا فيها الا رأيت اسكل واحد منها حجة لا يقدر صاحبه على دفعها الا
 بالشبهة والمغالطة واما بالصريحة فلا ومن غلط في هذا او مثله فاما يقال نفسه وعليها
 يخطا وايها يخطع او اراد ان يخادع ربه والله اعز من ان يخدع لقد ثبت ان الله تبارك
 وتعالى اوحى الى نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لا تتجادل اهل الاهواء فيرفعوا في قلبك
 شيئاً يوردك به الى النار فهذا امر نهى عنه موسى عليه السلام وقد اعطى التوراة فيها
 هدى الله وقد كلم الله موسى تكليماً فكيف بغيره من اهل الاهواء ولم يزل الصالحون
 يتناهون عن الهوى والمرء فيه والجلد به ولم ار قياساً قط تم ولا كلاماً صح الا وفيه
 كلام بعد كثير فالسنة ان لا يشكلم في شيء من الاهواء بالهوى وبغير الاتباع للكتب
 النبيلة والسنة للرسل الصادقة وفي ذلك اقول شعراً :

انما اعطى الانسان شيئاً من الجدل * فلم يعطه الا لكي يمنع العمل

وما هذه الاهواء الامصائب * يخص بها اهل التعمق والعمل

وقال في النخبة : اياك والقيمة فانها لا تترك مودة الا فسدتها ولا عداوة الا جددتها
 ولا جماعة الا بددتها ولا ضيقة الا اوقدتها ثم لا بد من عرف بها او نسب اليها ان
 يتحفظ من محاسنها ولا يوافق في بائسيتها وان يزهد في مناقشتها وان يرغب عن مواصلتها
 وفي ذلك اقول شعراً :

تمشيت فينا بالخير وانما * بفرق بين الاصفياء النائم

فلازلت منسوباً الى كل آفة * ولازال منسوباً اليك اللوائم

وفي مثله اقول

كالسيل في الليل لا يدري به احد * من اين جاء ولا من اين يأتيه

فالويل للعبد منه كيف ينقسه * والويل للود منه كيف يبله

وقال : اذا قبل لك اي شيء اطول فقل الكلام واذا قبل لك اي شيء اقصر فقل
 الكلام لان الكلمة الواحدة قد تكون جواباً لالف كلمة وقد يكون جوابها الف كلمة
 واكثر ولن تدرك الكلام حتى تذرده ولن تذرده حتى تحذرده وفي القول خطأ كثير
 وبعضه صواب وان الصمت منه لا صوب فأتارك منه ما لا تنفع بأخذه وخذ منه ما لا تقدر
 على تركه واسجن لسانك كما تسجن عدوك واحذرده كما تحذر غائلته
 وقال في ناديب النفس : اذا ابصرت بعض ما تكره من غيرك فأسرع الرجعة منه

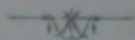
قبل ان يبصره منك من يستريه واحمد الله الذي احسن اليك وبصرك عيوب نفسك
وتيهك للرجوع عن غيك واذا اخبرك بعيبك صديق قبل ان يخبرك به عدو فاحسن
شكره واعرف حقه فان خير العدو تعيب وخير الصديق تأديب وفي ذلك اقول شعراً
ولن يهلك الانسان الا اذا اتى * من الامر ما لم يرضه ففعلوه

وقال في الحاسدين : اعلم انك لن تلقى من الخير درجة ولن تبلغ منه مرتبة ولن
تنزل منه منزلاً الا وجدت فيه من يفسدك وانما الحاسد خصم فلا تجعله حكماً فانه ان
حكى لم يحكم الا عليك وان قصد لم يقصد الا اليك وان دفع لم يدفع الا حقك وفي ذلك
اقول شعراً :

ولو كنت مثل القدح الفيت قائلاً * الا ما لهذا القدح ليس بقائم

ولو كنت مثل النعل الفيت قائلاً * الا ما لهذا النعل ليس بصارم

(١) ثم ادب صالح بن جناح بفضل منشي الروح ومجري الرياح الملك الوهاب
الفتاح وذلك في سلخ شهر ذي القعدة سنة ٨٦٠ او الحمد لله اولاً وآخراً وباطناً وظاهراً
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .



— ❦ — تنبيه ❦ —

لم تلق على ترجمة صاحب هذا الكتاب فيما بين ايدينا من الكتب وانما رأينا له
ذكراً في كتاب السلم للعالم بن عبد البر . حيث قال احسن ما قيل في الصمت ما ينسب
لعبد الله بن طاهر وهو

قلل كلامك واستعذ من شره * انت البلاء يعضه مقرون

واستفظ لسانك واحتفظ من يبه * حتى يكون كاذباً مسجون

وكل فؤادك باللسان وقل له * ان الكلام عليك موزون

فزانه وليك محكما في قلة * ان البلاغة في القليل تكون

وقد قيل ان هذا الشعر لصالح بن جناح والله اعلم وهو اشبه بمنذهب صالح وطبعناه

(١) هكذا وجد في الاصل المتقول عنه

الحكومات وشرائعها

عرف الانسان منذ نشأته ان الاتحاد ذريعة لتبيل سعادته ووسيلة للوصول على مراده فقال بالغة سر الى الاجتماع تكالفاً على ما يتعلق بامر معيشته من هجرع وترحال ومأكل ومشرب ودعاه الى ذلك داعي العجز والتقصير للقيام بتقتضيات حياته المدنية كالصناعة والزراعة على اختلاف اصنافها والعلم على تعداد انواعه فكان اجتماعه قسرياً ضرورياً لازماً ورفاهته عبرت عنه الحكماء بقولها الانسان مدني بالطبع اي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم .

ولما كان الانسان ميالاً بالطبع الى الظلم والعدوان كان من الضروري لاجتماعه وجوب وجود وازع يدفع بعض الناس عن بعض ويهتم باصلاح شؤونهم واحوالهم ومعاشتهم والا تفككت دعائم العمران ووهت اسبابه وقواعده لانه ليس من الممكن عقلياً اجتماع افراد بدون اتفاق فيما بينهم على كيفية نيل المعاش واقتسام الرزق ولا يمكن ذلك الاتفاق الا بوجود وازع عادل يحدد حقوق كل فرد وواجباته طبقاً لقواعد اديبة اجتماعية تعرف الآن بالشرعية وهي ولئن اختلفت مبدأ باختلاف العادة والمكان لا تختلف غاية وهي المحافظة على حقوق الانسان لقيام المجتمع البشري كما قال العلامة ابن خلدون في مقدمته : « ولكي يتم للانسان الاجتماع لا بد له من سنن يكفله ولا بد من العدل سيفه هذه السنن اي مراعاة مصالح الجمهور المتبادلة ولا بد من احترامها كذلك والا انفكمت عمرة الاجتماع وتداعت دعائمه . ولكن لما كان الانسان كثيراً مالا يسلك من نفسه الطرق المثلى المؤدية الى ذلك اما عن عتوا وغرور او عن جهل وذهول كان لا بد له من اقامة قوة يناط بها المحافظة على المقرر من السنن والاقتصاص ممن يحيد عن جادتها والآل به المال الى القوضى اي لا بد له من وازع يكون منه اذا لم يمكن ان يكون من سواء يدفع عدوان بعضه عن بعض ويهتم باصلاح شؤونهم » اه
فهكذا نشأت الشرائع والحكومات ولم تكن الاولى بداءة بدو سوى مجموع عوائد وآداب بعضها ما فرضته الاديان واخرى ما قضت الاحوال باتباعه عفواً فاخذت ترتقي بعدئذ بارتقاء الانسان الى ان وصلت الى ما هي عليه الآن كما انه « لا ينكر تغيير الاحكام بتغيير الازمان » .

فما الشرعية سوى خطة تسريها الحكومة بموجبها لتحديد حقوق الجميع وهي مسؤولية

بالطبع لدى هذا النظام عما نفعله بالنظر الى رعاياها كما ان ارباب العائلات مسؤولون لدى نظامهم عما يفعلون بالنظر الى عائلاتهم لابل تبعة الحكومة اعم من مواجب ارباب العائلات لان رب العائلة مطالبه امرته وهو مسؤول له ولذمته في حين مطالب الرعية الحكومة والرعية بمجموع أسس عديدة فتكون مسؤولة لها وللوطن كما قال ارسطو : « العالم يستأن سياجه الدولة والدولة سلطات تحيا به السنة والسنة سياسة يسوسها الملك والملك نظام يعضده الجند والجند اعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمععه الرعية والرعية عبيد يكسبهم العدل والعدل مألوف وبه قوام العالم » .

فينتج اذن مما تقدم ان نشوء الشرائع والحكومات كان قديماً بقدم اول اجتماع نظراً لما في طبيعة الانسان الحيوانية من الاثرة والعدوان التي تحول دون اجتماعه وتآلفه لولا حاكم عادل يحدد لكل حقوقه حسب الشرائع المفروضة فتاريخ الشرائع مرتبط بتاريخ الحكومات وتاريخ الاجتماع البشري كل الارتباط اي لم يمكن الاجتماع دون الحكومات لتخلف كيانه وتذب عن سماءه وتدفع عن حوزته ولم تكن الحكومات دون الشرائع لتسير بتوجيهها فتحدد بالقسط والسوية حقوق الجميع ولم تكن الشريعة بدون حكومة تسنها ولم تكن الحكومة بدون جمعية تحكمها كما قال الموبذان بن بهرام في حكاية اليوم التي نقلها المسعودي « الملك لا يتم عزه الا بالشريعة ولا اقوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا اقوام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعارة ولا سبيل للعارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصبه الله وبه قوام العالم » . اهـ .

قلنا ان الشريعة لم تكن بادي بدس سوى مجموع آداب وعوائد قضت الاحوال باتباعها عفواً ثم اخذت ترتقي بارتقاء الانسان الى ان وصلت الى ما هي عليه الآن من الرقي والفلاح فهي اذن مرآة صافية بتعكس عليها مركز الامة في الجسم الاجتماعي كما بتعكس عليها ايضاً من عوائدها واخلاقيها ما يظهر لنا تأخرها او تقدمها . فمن اطالع على شرائع الفرس واليونان قديماً واهل سومطرة مثلاً في القرن الماضي ووقف على ماجوزته شرائعهم من سلب جلد المجرم بالقتل وصنقه بين صخرين او طمره حياً في الرماد حتى يموت تحت خنقا الى غير ذلك من الفظائع الحيوانية كأن يلقوا المجرم الى السباع او يمزقوا جسدهم بالكلاليب او يحرقوه حياً او يشدوا اطرافه الى اربع افراس فيمزق المجرم بالقتل اربابا وارباعاً عرف حق المعرفة فظاظة طبائعهم وقسوة قلوبهم وغلظة اكبادهم

وحكم حكماً باتاً على تلك الامم بسكرة الجهل وتسكعها في مهامه الخمول لان قساوتها وانحطاط اخلاقها وعوائدها كانت تُجلى في شرائعها باجلى بيان على بقائها تحت وقر الجهل ووراء ظل الارتقاء .

واذا رجعنا فوقتنا على كثير من شرائع امم اوربا المتقدمة الآن كان كثرها وفرنسا والمانيا وغيرها من امم العالم المتقدمين كاميكا وخصوصاً شرائع مملكتنا العثمانية تحكم بالطبع على وجوب رقي تلك الامم لما ينبغي منعكساً على مرآة شرائعهم الصافية من حزن العوائد وطيب الاخلاق ما يضطرنا ان نقول بارتقاء تلك الامم طبقاً لارتقاء شرائعها . ولكن لماذا لا يصدق هذا الحكم على امتنا العثمانية وشريعتها من احسن الشرائع ونظامها من اقوم النظمات ؟ لماذا لا يصدق علينا هذا الحكم بل لماذا نحن في تأخر ؟ الاننا من جنسية غير جنسيتهم ونحن ذرية الذين اشتهروا بالصناعة والتجارة والحامسة والشجاعة والفتوحات والفصاحة والمعارف والحكمة ؟ ام لانهم اقرب منا استعداداً للارتقاء ونحن من اقوم الذين افاض الله عليهم من بركات الحجي ما اقام لهم الاندماج في سلك الرتبة الاولى بين مراتب بني آدم ؟ كلا ليست هذه من الاسباب التي اودت بامتنا بعد ان كان لها من بسطة الملك واستفحال الكلمة وتقوؤ الشوكة ما لم تصل اليه امة من امم اوربا الراقية . ولكن هو ضعف الادارة في الاعمال وعدم تنفيذنا الاوامر الشرعية والقوانين المفروضة وقلة رجالنا الامناء المخلصين كانت من جملة امراضنا الاجتماعية فقلدنا كما قيل كبار الاعمال لصغار المال اي وضعنا الشيء في غير موضعه فاصبح الوالي ظالماً والقاضي محايياً والجندي خائناً وامر الشريعة لغو لا يعمل به ولا ينفذ فلا بدع اذا فسدت الامة بفساد الحكومة التي هي بمنزلة الرأس منها وقد اجاد القائل :

واذا رأيت الرأس وهو مسمم ايقنت منه تهشم الاعضاء

وهكذا يستنتج ان سلامة الوجود موقوف على سلامة النظام وسلامة النظام بكفالة حسن العمل وذلك مترتب بالطبع على ادارة مستقيمة حسنة تصدر من رجال مخلصين امناء لان الادارة ميزان كل حكومة وقوام كل مملكة كما ان الرجال سياج الامة يذبون عن حوضها ويدرونها طوارئها فيذهبون بها من غمرات الغلل الى سواحل النظام والسمة كما قال ابو شروان « الملك بالجنود والجنود بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال واستقامتهم وتنفيذهم اوامر الشريعة المفروضة من الله » .

فاذا كانت شرعيتنا من اقوم الشرائع ونظامنا من احسن النظمات وحكومتنا لا تعمل به فهو لغو ومعتز حين تسير بوجبه الحكم فتحدد بالسوية حقوق الكل وواجباتهم . التعليم اجباري بمملكة المحروسة ولكن من يرد عليه هذا الامر ولا يسقط في يده ومن يعمل به من الحكومة ؟ توسيع الطرق وتطهير الشوارع وتسهيل اسباب النقل ومراقبة اسعار ضروريات الانسان من واجبات المجلس البلدي في كل ولاية مثلاً ولكن هل تسير اعضاؤه على خطاة واجباتهم فتحافظ على راحة الشعب ورفاهته وتوسع الطرق وتطهر الشوارع حتى قال فيها احدهم مرة « ان اهالي دمشق تود لو تزرع الاشجار في شوارعها انكثر الامطار فتتخلص من الغبار الذي لا يسكنه غير مياه السماء » . شرعيتنا تحرم الرشوة بالطبع فتقول « ما حرم اخذه حرم اعطاؤه » ولكن العاملين بها قابوا الآية فحللوا الاخذ والمطاءة . « التصرف على الرعية - كما ورد في القانون - متوط بالمصلحة فيلزم ان يولى في المناصب اهلبا ولا يكلف الناس ما لا يحتمل ويدفع الظالم عن المظلوم ويؤمن السبل ويدفع الاذى واكننا نحن نقصد الموظفين لمن لا يصلح لما فنضع الشيء بغير موضعه ونساعد الظالم على المظلوم وان كنا ندري بان ذلك مبدأ الخلل .

وخلاصة القول ان شرعيتنا من احسن الشرائع واقومها لو عمل بموجبها ولكن فساداً طاراً على افكار العاملين بها فغيروا المعاني وصرفوا الالفاظ وحرفوها طبقاً لما ربههم ومقاصدهم .

المكينة بيروت : حبيب جرجي كخالة



النحام ومرادفاته

١ تمهيد

أصعب ما في اللغة العربية تحقيق الالفاظ العلمية ولا سيما ما يتعلق منها بعلم المواليدي . فتري اغلب المعاجم تحبب في هذا البحث ولا يخط عشواء . ولهذا يحسن بالعلماء ان يحققوا تلك الالفاظ ويتبعوها تتبعاً علمياً محضاً حتى يصرح اللبث عن الرغبة ويعول عليها الكتاب من مؤلفين ومعربين ولا يبقوا سائرين في الوعث فيكابدون من العناء والجهد الامرين . ومن جملة الالفاظ التي تحتاج الى تحقيق كلمة « نحام » من الطير . وهانحن نثبت مايزيل الشك في هذا الباب فنقول :

٢ النحام في كتب العرب

قال في حياة الحيوان : النحام طائر على خلقه الاوز واحدته نخامة ، يكون آحاداً وازواجاً في الطيران واذا اراد المبيت اجتمع رفوقاً ، فذكوره تنام واناؤه لانام وتعد لها مبات فاذا نغرت من واحد ذهبت الى آخر . اه . التصود من ايراده . — وقال داود الانطاكي : النحام : طير دون الاوز ، قبل انه شديداً الحرارة ينفع المبرودين وهو مجهول . — وقال ابن البيطار : النحام هو من طيور الماء . ابن ماسويه : لجمه من اكرم لحوم الطير وافضلها . . . وفي التاج : النحام ، كغراب : طائر احمر كالاوز اي على خلقته . قال الجوهري يقال له بالفارسية « سرخ آوي » وهكذا ضبطه الازهري وابن خالويه . وضبط الجوهري في فتحه وشده وضبطه السبلي كضبط الجوهري . اه . — قلنا : الاسم الفارسي الحقيقي هو سرخ آب او سرخاب ويلفظها بعضهم سرخ آوي على لغة قلب الباء واواً وهي لغة كثيرين من الفرس الاقدمين والمحدثين ومن اسمائه بالفارسية ايضاً « خرچال » كما جاء في « برهان قاطع » — وعلى ذلك يكون النحام هو المسحى بالفرنسوية Flamant او Flammnt وبالانكليزية Flamingo وبلسان العلماء او اللاتينية

Phoenicopterus

٣ سبب تسميته عند العرب

لم يتعرض اللغويون لسبب تسمية هذا الطائر بهذا الاسم . وعندنا انه مشتق من النخم او النخم وهو صوت كالزحير أو فوقه ، يخرج من هذا الطائر عند الطيران . وفعال بالنخم من الصيغ الدالة على الفاعلية وان لم ينه عليها النخاعة كشجاع وخشاش

(وهو الماضي من الرجال) وقد يزداد على هذه الصيغة الياء للمبالغة ويبقى المعنى على ما هو كقولهم : القطامي وهو العقر . قال الاصمعي : « القطامي مأخوذ من القطم وهو الشوان للحم وغيره » . وهذا الكلام يدل على ان الثغور بين انتهوا لصيغة فعال او فعالي للفاعلية

٤ تصانيف النجم ومرادفاته

صحف كثير من الكتاب هذه الكلمة لجهلهم اياها . ومن اشهر من صحفها احمد فارس الشدياق الشهير فقد قال في كتابه شرح طبائع الحيوان ص ٣٨٢ : النخاف (بقاء في الآخر) هذا طائر طويل ضخم وفي غابة الحسن الى آخر ما نقله عن الافرنج . وقد جاءت بهذه الصورة القبيحة في عدة مؤلفات نقل عنها دوزي في كتابه « الملحق بالعالم العربية » في مادة نخف .

ومن اخطأ في اسمائه الالب بلو اليسوعي في معجمه الفرنسي العربي المطبوع سنة ١٩٠٠ قال في تعريف Flamant : غواص ، طائر طويل الارجل لونه احمر زاه ، نعام . ا . ه . فالغواص غير النعام على ما اثبتته العرب والماء الاقدمون والمحدثون . ونحن العراقيين نسميه في ديارنا « الغرنوق » وهو كثير الوجود في البطائح والآجام والمستنقعات وفي القاموس : الغرنوق كزنبور وفردوس : طائر مائي اسود وقيل ابيض او الغرنوق او الغرنيق : الكركي او طائر يشبهه . ا هـ ويجب ان تصلح عبارة القاموس هكذا : الغرنوق كزنبور وفردوس : طائر مائي ويريد به العراقيون النعام والكلمة معربة عن اليونانية Geranos بمعنى الكركي وقد وردت بهذا المعنى ايضاً عندهم والغرنوق في بلاد السودان هو نوع من الكركي اسمه العلمي Grus balearica وعند اهل المغرب هو نوع آخر من الكركي اسمه العلمي Grus virgo — ومن اسمائه سيف العربية السرخاب قال السيد المرتضى في التاج في مادة مرحب او سيف مستدر كما : السرخاب بالضم ، اسم له الجماعة وذكره احمد بن عبد الله التيفاشي في كتاب الاحجار وقال : انه طائر في حجم الاوز (اي ان كبر جسمه بكبر جسم الاوز وهو امر لا اختلاف فيه لكن لا يراد بذلك انه بطول الاوز كما يؤخذ من كلام الدكتور امين افندي المعوف في المقتطف ٣٦ : ٧٧٦) احمر الريش ويوجد ببلاد الصين والفرس واهل مصر يسمونه البشمور (واليوم يسمونه البشروش وهي تصحيف اختها) ويعلقون ريشه في المراكب للزينة . يوجد في عشه حجر قدر البيضة اغبر اللون فيه نكت بيض رخو المحك سيف

خوامس لانزال المطر في غير اوانه . اه . نقله . ولم يذكر المؤلف ان اللفظة فارسية الاصل . وهي كذلك وقد وردت في دواوين لغتهم . وهي كلمة مركبة من « سرخ » اي احمر . و « آب » اي ماء . واظن ان الاصل في هذا الاسم مامعناه : الطائر الاحمر الساج في الماء . ثم اختصروا العبارة فقالوا مامعناه : الاحمر الماء . — والظاهر ان الافرنج المستشرقين الذين نقلوا المعاجم الفارسية الى لغتهم لم يهتموا الى حقيقة هذا الطائر . فقد قال فلوس Vullers في معجمه الكبير الفارسي اللاتيني ما هذا نصه :

Genus avis aquaticoe rubri coloris ومعناه ضرب من الطير المائي احمر اللون . ولم يذكر اسمه باللاتينية ثم قال : ويسميه البعض « خر جال » ايضاً . ثم زاد على ما تقدم : Anas casarca اي بط بري . فانت ترى من هذا انه لم يعرف ما يقابله عند العلماء . وكذلك لم يعرف حقيقة جنس في ديوانه الكبير الفارسي العربي الانكليزي . وذكر هناك انه نوع من البط المائي . والبط الاوز عند العرب بمعنى واحد في كتبهم اللغوية . فهذا القول يوافق وصف العرب للنعاج اي انه على خلقه الوز . ولم يذكر صاحب التاج البشور في مظنتها وان كان ذكرها استطراداً في مادة سرخ وب لم اعثر عليها في معاجم اللغة العربية التي وصلت اليها يدي .

ومن اسمائه الفارسية ايضاً « ميش مرغ » ايضاً . لكن البعض يقولون ان المسمى بهذا الاسم هو الحبارى . لا النعاج . على حد ما اختلف العرب في تعريف الفرنوق . واما لفظة البشاروش او البشروش فقد وجدت في كتب متون اللغة الفرنسية التركية منها . معجم و . ويزنطال المطبوع في مطبعة قرهت في الاستانة في مادة Flamaist الا انه ذكرها صحيفة بياك مثناة في الاول بدلاً من الباء الموحدة اي « بشاروش » وهكذا ذكرها ايضاً ش . سامي في معجمه الفرنسي التركي . والاصح في كل ذلك البشاروس بياك مثناة فارسية في الاول وشين او سين في الآخر وهي من اصل فارسي « بشرو » او « پيشرو » اي المتقدم او الامام او المائني امام الكل . وسبب هذه التسمية هو ان هذه الطير اذا سارت في طلب رزقها تولي احدها قيادتها ليحذرها من الخطر اذا دامها وحالما يشعر هذا الولي الامين بمشقة تحصل وان كانت بعيدة يبادر الى الاهابة بها بصوت عال كصوت البوق فتتبعها كلها للطير ان حالاً (راجع شرح طبائع الحيوان لاحمد فارس الشدياق ص ٢٨٣)

وقد صنف التونسيون كلمة بشاروش او بشروش بصورة بشروش وقد نقلها دوزي

في معجمه المذكور وقال ان بوسيه وترى سترام ذكرها بمعنى النحام . قلنا : وكذا تقلها
 ايضا غلايين في معجمه الكبير الفرنسي العربي . فانظر حرسك الله كيف يعمي
 الاسم الواحد مصحفاً بموجب لغات البلاد والعباد . وكيف ان للحيوان الواحد اسماء
 عديدة بدون ان تذكرها المعاجم . وحاصل ماجاء من اسماء النحام الفصيحة والمصحفة
 هي : النحام والنحاف والغرنوق والسرخاب والبشعور والبشروش والبشروس
 والبشاروش والبشاروس ولعل له اسماء اخرى لم نقف عليها واحسن هذه الاسماء كلها
 النحام لانها من اصل سامي اذهو كذلك باللغة الارمية مع الالف الزائدة في الآخر
 وهو من مزاي لغتهم اي (نحاما) واما سائر الالفاظ فهي من اصل يوناني او فارسي او
 تركي ونحن في غنى عنها .

٥ النحام على ما وصفه علماء الافرنج العصريون

قال علماء الافرنج في تعريفه : وصفه : جنس من الطير يدنو من السوايح بتقاربه
 ويشبه الشاهمرجات بساقه لطولها ولهذا عزل عن كلتا الطائفتين وجعل في طائفة
 خاصة به هي فروع من طائفة الشاهمرجات او الخواثض اي الطويلات السوق . وهو
 صغير الجسم طويل الساق حتى يبلغ طولها زهاء متر ورأسه صغير ومنقاره صلب وفي
 حافته صفائح على عرضيهما على حد ما يرى ذلك في البط وهو موعج عند منتصفه
 وانا اراد ان يصطاد فريسته كالهلامات والودود والهوم والحشرات وبيض السمك
 التي يراها على ارباب الغدران والمستنقعات بقلب رأسه بان يضع الفك الاعلى اسفل حتى
 يتمكن من ان يتصرف في عقافته . - وهو بطير جماعات تعرف بالرفوف (جمع رفير)
 لكثرة افرادها وبقوتهم من هيئتها مثلث على حد ما نفعله الكراكي . واذا حطت على
 الارض اصطفت صفين كالعسكر وعشها عبارة عن مدرقة تركبها ركوباً عند الحضانة
 كما يركب الانسان الحصان ولها صوت كصوت النغير هو النجم . ولحمها لذيذ ولا سيما
 لسانها . واليوم يرغب في هذه الطير لزيشها وهي اصناف منها : البشروس او نحام
 الاقدمين (١) وبالفرنسوية Flammant des anciens ولسان العلم Phœni-

(١) البشروس هو المسمى بالفرنسوية مامعناه : نحام الاقدمين ، والذمام المشهور
 Bécharu, F. Commun وهذه هي المشهورة عندهم وقد اخذوها عن العرب الذين
 نقلوها عن الفرس . والافرنج لم يعرفوا الى اليوم اصل هذه الكلمة وقد مر بك انها منخوطة
 من « پيشرو » اي المتقدم او الامام .

copterus ruber وريشه كله وردي يدينع اللون ما خلا الجناحين فانهما احمران ملتصقان ومثل لونهما لون المنقار وهو كثير الوجود في العراق وفي ديار فرنسا الواقعة على سواحل بحر الروم . — والنحام الاحمر او البهم (١) *F. rouge* وبلسان العلم *Ph. bahamensis* وهو كثير الوجود في اصقاع اميركة الجنوبية وهو اصغر قدماً من النحام السابق ذكره ولونه ازهي وابهى . والنحام ذو الرداء الناري *F. à Manteau de feu* وبلسان العلماء *Ph. ignicapillus* ولونه احمر واضح وهو يوجد في انحاء پاتاغونية وبونيس ايرس . — والنحام القزم *F. pygmée* وباللاتينية *minor* ويكون في ربوع الرجاء الصالح وفي سنغال وهو دون ما جانه من هذا الطائر بنصف

وهذه الطيور تعيش غالباً في القصباء والحلفاء والآجام والغياض وهي تبحث عن رزقها فيها كما يفعل البط والوز لغط مناقيرها فيها لتفهم على قوتها . واكثر ما ترى انها تجتمع جماعات من ٢٠ الى ٣٠ طائراً . وسيرها ثقيل ومرتبك واذا نامت قامت على رجل واحدة وضمت الاخرى الى الاولى او تحت بطنها ونحني رأسها تحت جناحها واذا كانت كثيرة الحذر يقوم احدها ديدباناً اذا نام سائر الاخوة والاخوات او اذا ذهبت تستمرق . وهي تخاف الانسان اكثر مما تخاف الحيوان . ولهذا اذا اراد الصيادون قنصها اختفوا في جلد حصان او بقرة وذهبوا اليها . واذا اطلقوا عليها البندقية نالوا منها عدداً وافراً والسبب انها لا تتروع من طلقاتها ولا من روية ما يموت منها ولهذا لا تبعد كثيراً عن مسقطها فيصاب منها كثير . هذا جل ما يقال عن النحام ، وفي الختام اقرأكم السلام . بغداد سائنا



(١) البهم نعت فارسي معناه الظو بل اليد وهي الساق في الطيور . ولا ادرى كيف سمي العلماء هذا النحام بالبهم بنعت فارسي اللهم الا ان يكونوا قد اخذوه عن الشرقيين

كتاب مخطوط

عثرنا في هذه الايام على كتاب مخطوط ذهب منه الجزء الأول والثالث ويدل على ذلك ما جاء في خاتمة هذا الجزء.

« تم الجزء الثاني بتلوه ان شاء تعالى اول الجزء الثالث المتقصد الثاني في ممالك جزيرة الغرب الخارجية عن مضافات الديار المصرية »

وتاريخ كتابه عام ١١٩٣ هـ كتيبه عطوة بن علي الهونيني موطننا العباسي مولدا (١) صحائف الكتاب ٤٥٦ طوله ٣٣ سائتيا وعرضه عشرون سائتيا ورقة نياقيها خطه واضح جلي اسطر كل صحيفة ثمانية وعشرون سطرا

امام مؤلف الكتاب فلم نجد له ذكرا فيه ويظهر انه شافعي المذهب ومن رجال اوائل القرن التاسع الهجري ودلنا على ذلك انه في ذكره للملك الطبققة الرابعة من ملوك مصر وهم الترك ذكر آخرهم الملك المنصور عبد العزيز وحصره في قلعة دمشق والقبض عليه واستبداد المستعين بالله بالامر من غير سلطان وذلك في ثاني عشر ربيع الاول سنة خمس عشرة وثمان مائة

موضوع الكتاب

اول الكتاب « الفصل الثاني من الباب الثاني من المقالة الاولى في الكلام على نفس الخط وفيه سبعة اطراف » وفيه هنا مباحث في فضيلة الخط وحقيقته وسببه وضعه وفي عدد الحروف وفي تحسين الخط وقواعد لتعلق بالكتابة وفي مقدمات لتعلق في اوضاع الخط وقوانين الكتابة وذكر قوانين يعتمد بها الكاتب في الخط وهنا بحث عن الافلام المستعملة في ديوان الانشاء بمصر ما ذكره وقال وسياقيها في المقالة الثالثة في الكلام على ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق من الافلام وذكر المذاهب في اصل الافلام وهي ستة (١) مختصر الطومار (٢) وقلم الثلث الثقيل (٣) والخفيف (٤) قلم التوقيعات (٥) قلم الرقاع (٦) قلم الغبار هذا يجعل مافي هذا الجزء من المباحث وكلها جلية ويظهر ان هذا الجزء يشتمل على مقالتين المقالة الاولى في الكلام على ما يحتاج اليه الكاتب وقد فقد من هذه المقالة الباب الاول

(١) العباسية وهونين من قرى جبل عامل الاولى من اعمال صور والثانية من

اعمال مرج عبون

والمقالة الثانية موجودة برمتها وهي في المسالك والممالك تشتمل على اربعة ابواب
وتحت كل باب نقىات ونفريات نفوت الاحصاء وكلها في موضوعات مفيدة

الباب الاول في ذكر الارض على سبيل الاجمال وفيه بحث عن معرفة شكل
الارض وما اشتملت عليه من الاقاليم وفي اطوالها وفي ذكر البحار التي يتكرر ذكرها
بذكر البلدان وفي كيفية استخراج جهات البلدان والابعاد الواقعة بينها هذا اجمال
ما اشتمل عليه الفصل الاول من الباب الاول والفصل الثاني في ذكر اخلافة ومن وليها
من الخلفاء ومقرانهم في القديم والحديث وما انطوت عليه الاخلافة من الممالك في القديم
وما كانت عليه من الترتيب وما هي عليه سيرة عهد مؤلف الكتاب قال وامان وليها
(اخلافة) فعلى اربع طبقات الطبقة الاولى الخلفاء من الصحابة (ارض) الطبقة الثانية
خلفاء بني امية الطبقة الثالثة خلفاء بني العباس الطبقة الرابعة خلفاء بني العباس بالديار
المصرية وذكر خلفاء الطبقات الاربع وسني توليتهم اخلافة ووفياتهم ومقرانهم

وفي الفصل الثاني من الباب الثاني بحث جليل عن ترتيب اخلافة في الصدر الاول
وشعارها وبحث في تولية الملوك من الخلفاء والوزائف العترة عندهم

الباب الثالث في ذكر مملكة مصر ومضافاتها وفيه طرفان الطرف الاول في الديار
المصرية وفيه سبعة مقاصد المقصد الاول في فضلها ومحاسنها المقصد الثاني في ذكر
خواصها وعجائبها وما بها من الآثار القديمة المقصد الثالث في ذكر نيلها ومبتدئه ومنتها
وهنا قال وقد ذكر الحكماء انه يفخر من جيبيل القمر اما بفتح القاف والميم كما هو المشهور
واما بضم القاف وسكون الميم وهنا بحث في طول النيل وعرضه والبلاد التي يمر فيها وفي
زيادته ونقصه ومقاييسه

المقصد الرابع في ذكر خلجانها وبحيراتنا والخامس في جبالها والسادس في زروعها
وربايحيتها وقواكهها والسابع في ذكر مواشيتها ووخوشها وطيورها والثامن في ذكر
حدودها والتاسع في ابتداء عمارتها والعاشر في ذكر قواعدها القديمة والمستقرة والحادي
عشر يشتمل على ذكر خططها

والفصل الثالث من المقالة الثانية في ذكر كور الديار المصرية وانماها والفصل
الرابع في ذكر ملك الديار المصرية جاهلية واسلاماً وطبقاتهم والفصل الخامس من الباب
الثالث من المقالة الثانية في ذكر ترتيب احوال الديار المصرية وفيه بحث سيرة في ذكر
معاملاتها وما يتعامل به وزناً وما يتعامل به معاده وفي الفلوس المطبوعة بالسكة وغير

المطبوعة وفي الثمنات والمكيلات والمقيسات وارض الزراعة والابنية والاقمشة والاسعار
وفي الجسور والمعابر والجسور البلدية وري السواني وهنا بحث في طرق زراعة الارض
وصنوف الزروع

وبحث في وجوه اموالها الديوانية والمقصد الثالث في ترتيب المملكة وفيه بحث عما
كانت عليه في زمن عمال الخلفاء من حين الفتح الى آخر الدولة الاخشيدية كذكر الآلات
الملوكية من التاج والقضيب والسيف والدواة والرمح والدرقة والحافر والمظلة والاعلام
والنقارات والخيام وفي حواصل الخليفة وهذا فيما كانت عليه احوال الديار المصرية في
عهد الفاطميين وفي هذا المقصد ابحاث تتعلق في الوظائف والدواوين وفي مواكب
الخلافة المختلفة في الاوقات المختلفة ويذكر في هذا المقصد قصيدة عمارة اليعني التي
يرثي فيها الفاطميين بعد اقراض دولتهم واستيلاء السلطان صلاح الدين الايوبي عليها
وصف بها مملكتهم وعدد مواكبهم وحكي مكارمهم وجلى محاسنهم واوردها برمتها
ثم يذكر احوال الدولة الايوبية ورسومها واحوال الدول التي انتقلت اليهم الديار
المصرية الى زمان المؤلف

وهنا ابحاث مفيدة يجلي منها ما كانت عليه احوال الدول القديمة من الترتيب والانتظام
والفصل السادس من المقالة الثانية في المملكة الشامية وما يتصل بها من بلاد الارمن
وبلاذ الجزيرة بين الفرات ودجلة مما هو مضاف الى هذه المملكة وفيه اربعة اطراف
الطرف الاول في فضل الشام وخواصه وعجائبه وفيه مقصدان الاول في فضل
الشام الثاني في خواصه وعجائبه وهنا يذكر ما يراه فيه من العجائب كحجة طبريا وفيه
العقارب بمدينة حمص وعين فوارة داخل البحر المالح على القرب من ساحل مدينة
طرابلس ووادي الغور الى غير ذلك

الطرف الثاني في حدوده وابتداء عمارته وتسميته شاماً وفيه مقصدان الاول في
حدوده الثاني في ابتداء عمارته

الطرف الثالث في انهاره وبحيراته وفيه خمسة مقاصد الاول في ذكر الانهار
العظام في بلاد الشام الثاني في ذكر بحيراته الثالث في ذكر جباله وهنا جاء فيه عن
جبل عاملة ما هذا نصه

« وهو جبل ممتد في شرقي ساحل بحر الروم وجنوبيه حتى يقرب من مدينة صور
وعليه شقيف ارنون نزل به عاملة بن صبا من عرب اليمن عند نهرهم بسيل العرم

فعرف بهم والمقصد الرابع في ذكر زروعهم وفواكه ومواشيه والخامس في ذكر مواشيه والسادس في ذكر النفيس من مطعوماتها

الطرف الرابع في ذكر جهاته وكوره وقواعده المستقرة واعمالها وفيه مقصدان الاول في ذكر جهاته وكوره القديمة وهنا يذكر اصطلاح القدماء بتقسيمه الى خمسة اجناد جند فلسطين وجند الاردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين

المقصد الثاني في ذكر قواعده المستقرة واعمالها القاعدة الاولى دمشق واعمالها غزوة والرملة وقاقون وهي الجهات الساحلية والجبليّة وهي القدس والخليل ونابلس والقبليّة عمل يسان وبانياس ومنها قلعة الصبيبة وعمل الشعراء وعمل نوى وعمل اذرعات وعجلون والبقاع والصلت وصرخد وبصرى وزرع والشامية وهي بعلبك وعمل البقاع البعلبي وعمل البقاع العزيزي وعمل بيروت وعمل جبيل وعمل صيدا والشرقية وهي على ضربين الضرب الاول ما هو داخل في حدود الشام وهو غربي الفرات ويشتمل على خمسة اعمال حمص ومصياف وقارا وسمية وتدمر الضرب الثاني وذكر منها الرحبة وجمبر

القاعدة الثانية حلب وذكر اعمالها الساحلية والجبليّة ومن اعمالها الرها القاعدة الثالثة حماة وذكر اعمالها القاعدة الرابعة اطرابلس وذكر اعمالها والخامسة صفد وذكر اعمالها وهي احد عشر عملا وهي عمل تبنين وهونين وجاء فيه عند ذكرهما « وهما حصنان بنيا بعد الخمس مائة بين صور وبانياس بجبل عاملية المتقدم ذكره في جبال الشام المشهورة وجعل العثماني في تاريخ صفد قلعة هونين من عمل الشيف واهل هذا العمل رافضة »

القاعدة السادسة الكرك وذكر اعمالها وهي الشوبك وزعر ومعان الطرف الثاني من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثالثة فيمن ملك البلاد الشامية وملوكها وهو على قسمين الاول ملوكها قبل الاسلام وهم اربع طبقات الطبقة الاولى الكتعمانيون الثانية الاسرائيليون الثالثة الفرس الرابعة اليونان والرومان القسم الثاني من ملوك الشام ملوكه في الاسلام وهم على ضربين الضرب الاول عمال اصحابه (ص) فمن بعدهم من نواب الخلفاء الى حين استيلاء الملوك عليه الضرب الثاني من وليها ملكا

الطرف الرابع من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية في ذكر احوال

المملكة الشامية وفيه مقصدان

المقصد الاول في ترتيب نياباتها على ما هي مستقرة عليه قال « قد تقدم ان الممالك
المعتبرة بالبلاد الشامية ست ممالك في ست قواعد وكل مملكة منها قد صارت نيابة
سلطنة مضاهية للمملكة المستقلة »

ثم ذكر كل نيابة واحوالها في المعاملات ونحوها على مثال ما ذكره من احوال الديار
المصرية في الفصل الخامس من الباب الثالث من المقالة الثانية

المقصد الثاني ترتيب ما هو خارج عن حاضرة دمشق وهو على ضربين الضرب
الاول ما هو خارج عن حاضرتها من النيابات والولايات قال « وقد تقدم ان لدمشق
اربع صققات غربية وهي الساحلية والقبلية والشامية والشرقية في الصفقة الاولى وهي
الغربية عشر نيابات وخمس ولايات فاما النيابات فمنها غزة والقدس والولايات فمنها
ولاية الرملة واللد وقاقون وبلد الخليل ونابلس

واما الصفقة القبلية وهي الثانية ففيها نيابات وثمان ولايات فاما النيابات فالاولى منها
نيابة قلعة صرخد ونيابة عجلون واما الولايات فالاولى ولاية ييسان وواليها جندي الثانية
ولاية باتياس وواليها جندي تارة وتارة امرة عشرة الثالثة ولاية قلعة الصبية الرابعة
ولاية الشعراء الخامسة ولاية اذرعات السادسة ولاية حسان والصلت من البقاء السابعة
ولاية بصرى واليها جندي الصفقة الثالثة الشامية وفيها نيابة واحدة وثلاث ولايات
فاما النياحة فتياحة بعلبك واما الولايات فالاولى ولاية البقاع البعلبكي الثانية ولاية
بيروت الثالثة ولاية صيدا الصفقة الرابعة الشرقية وبها ثلاث نيابات واربع ولايات
ثم ذكر نيابة حلب على نحو نيابة دمشق ونيابة اطرابلس ونيابة صفد ومنها ولاية
تبنين وهونين وولاية الشقيف

الفصل الثالث من الباب الثالث من المقالة الثانية في المملكة الحجازية وفيه طرفان
الطرف الاول في فضل الحجاز وخواصه وعجائبه الطرف الثاني في ذكر حدوده وابتداء
عمارة الخ

وذكر قواعده وهي مكة المشرفة وهنا ذكر ملوكها قبل الاسلام وفي الاسلام وهم
طبقات و بين ترتيبها والديانة الشريفة وذكر نواحيها واعمالها وملوكها وامراءها قبل
الاسلام وهم ثلاث طبقات الاولى التابعة الثانية العالقة الثالثة ملوكها من بني اسرائيل
وفي الاسلام وهم اربع طبقات الطبقة الاولى من كان بها في صدر الاسلام الطبقة

الثانية عمال الخلفاء بني أمية الطبقة الثالثة عمالها سنة زمن خلفاء بني العباس الطبقة الرابعة أمراء الاشراف من بني حنين الى عهد المؤلف

ثم ذكر ترتيب المدينة النبوية فقال اما معاملاتها فعلى ما تقدم في الديار المصرية من المعاملة بالدنانير والدرهم الخ

الباب الرابع من المقالة الثانية في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية وفيه اربعة فصول الفصل الاول في الممالك والبلدان الشرقية عنها وما يغمرط في سلكها من شمال او جنوب وفيه اربعة مقاصد الاول في الممالك الصائرة الى بيت جنكيز خان وفيه جملتان الجملة الاولى في التعريف باسم جنكيز خان ومصير الملك اليه الثانية في عقيدة جنكيز خان .

ثم يذكر ممالك جنكيز خان على التفاصيل وهي مملكتان الاولى مملكة ايران ويذكر حدودها واقاليها وهي بابل والمدائن وبغداد وسمر من رأى والاقليم الاول الجزيرة الفراتية الاقليم الثاني العراق وقواعدها وبلدنها ومن المدن التي بالعراق هيت والحيرة والكوفة والبصرة وواسط وحلوان والحلة والنهروان والابلة والقادسية وعبادان الاقليم الثالث خوزستان والاهواز الاقليم الرابع فارس الاقليم الخامس بلاد الديلم الاقليم السادس بلاد الجبل .

ثم يذكر بعد ذلك طبقات ملوكها جاهلية واسلاماً وترتيب هذه المملكة كعادته في غيرها .

المملكة الثانية مما بأيدي بني جنكيز خان مملكة توران . هذا جل ما في الكتاب من الموضوعات وتدع الكلام عنه بتفصيل اكثر حتى نقف على آراء الباحثين فيه ولعل فيهم من لا يحجل اسم الكتاب واسم مؤلفه المجهولين لنا .

على اننا سنوالي البحث عن الجزئين المفقودين منه علنا نعرض عليها والكتاب عثرت عليه انا وصديقي الاستاذ الشيخ احمد رضا .

التبعية — جبل عامل : سليمان ظاهر



مرآة الشباب

ايصده العلاء فيستريب
 وتحطبه الكؤوس فيجتبها
 كأن شروها اذ يحسها
 يحرق ارتما اثر ارتعاص
 تحجب لبه استار عي
 مري ببغي العلاء فحين دافى
 وحالت دونه اكواب دن
 فتي عبث به ابدي التصاي
 رماه بدائه وانسل كوب
 ورافقه مداعبة الغواني
 ارته لحاظهن ضروب سحر
 فبات كأن في اذنيه وقراً
 وظل ولا طيب لما عراه
 اذا خطبته مكرمة تولى
 تعاطيه الكؤوس فتاة دل
 وتطوي عرسه الايام صبراً
 ترى الدينار يرقص في يديه
 اذا ماموس خطرت تدلى
 يمن الى دنو فتاة سوء
 ويؤنس حديث ذوات تيه
 بنام نهاره حتى اذا ما
 تؤم به غوابه فيسعى
 يحجب بغاء غانية قفاراً
 ويركب متن حدثان الليالي
 هب الى الشيبة بعد عجز
 وبدعوه الفسوق فيستجيب
 شمولاً دون لدعتها المهييب
 ريب حين اعوزه النجيب
 بدا منه بجهته قطوب
 فتكفقه المثالب والعيوب
 ورود حياضه شمع القريب
 ترشفها فادرکه الشعوب
 كما في الطير قد عبث الريب
 وهل يأتي بغير الغي كوب
 فغاز برشده الصوت الرطيب
 ولغادات من سحر ضروب
 اذا ناداه مرشده الليب
 وهل ينجي من الموت الطيب
 وان نادته غانية يحجب
 فيطرب وهو لوعلم المكثيب
 وساقيه بدرهمه لغوب
 وقد اضنى بنيه طوى مذيب
 ونابح خطوها وله وثوب
 وقد ظمئت حليلته الغروب
 وقد مجته منهن القلوب
 تصرم هب يحدوه الغروب
 فلا نصب بقيه ولا لغوب
 وما سوى الهوى قفراً يحجب
 فيلوي حيثما ابدي الركوب
 ويهجرها اذا يبدو النضوب

كأن شبابه كرة ازدهاء يطيف بها ومشرقه المغيب
 كأن حياته هانت عليه نجاد من الحياة بما يطيب
 كأن سنينه احلام صب صحا فاذا نضارتها نكوب
 كأن حجاب غادر أصغريه وآلي في الشيبة لا يوب

مضى بدن المنيب يثب هدهاء اليه كأنما الموت المشيب
 وزجر الشيب اعلم في نفوس من السمر اللدان اذا نصيب
 دمشق : خير الدين الزركلي

مطبوعات ومخطوطات

ثلاثة كتب

كتاب الالفاظ الكتابية وكتاب الفاظ الاشياء والنظائر
 وكتاب الالفاظ

هذه ثلاثة كتب مختلفة العناوين ومختلفة اسماء المؤلفين والموضوع واحد والنص واحد والمؤلف الحقيقي واحد لكن قضى التسرع على ناشرها ان يصدرها باسماء مؤلفين هم غير كتابها او مصنفها كما ستري .

فالعنوان الاول هو اسم الكتاب الذي تولى طبعه الاب لويس شيخو . فقد جاء في مفتاح السفر المذكور وهو الذي بدينا ما هذا نقل حرفه : « كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الحمداني . اعتنى بضبطه وتصحيحه الاب لويس شيخو اليسوعي . طبع سابعة بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٨ برخصة نظارة المعارف الجليلة في الامانة العلية . حق الطبع محفوظ للمطبعة . »

والعنوان الثاني هو اسم الكتاب الذي عني بنشره احد علماء بغداد واليك ما جاء في صدره : « كتاب الفاظ الاشياء والنظائر للامام القوي عبد الرحمن بن سعيد الانباري عليه رحمة الباري . وهو كتاب لم ينسج على منواله ناسج ، ولم يسلك طريق منهاجه ناهج ، مشهور عند ارباب اللغة والادب ، منتزع من اوعية السنة العرب . قديم التصنيف ، عجيب الترتيب والتأليف ، سليم من الغلط ، حسن الاسلوب والنمط . وقد طبع بعد تصحيح ابي البركات خير الدين السيد نعمان ابن المقهر المشهور السيد

محمود افندي الالومي زاده ، مفتي بغداد ، سهل الله تعالى له كل مطلب ومقصد يراد ، آمين . - التثليل الاول . - طبع برخصة نظارة المعارف سنة القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ - ١٨٨٥ م) طبع في مطبعة ابو الضيا . »

والعنوان الثالث هو اسم الكتاب المذكور على رواية صاحب كتاب الفهرست (اي ابن النديم الوراثي) فقد قال في ص ١٣٧ « عبدالرحمن بن عيسى الهمداني (بالبدال المهمل) كاتب بكر بن عبدالعزيز ابي داف . وكان شاعراً كاتباً وله من الكتب : كتاب الألفاظ . » وقال في ص ١٧١ من كتابه المذكور : « كتاب الألفاظ (وفي الاصل المطبوع الفاظ وهو غلط الطبع) لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني (بالبدال المهمل) »

فأي العناوين هو الاصح وما اسم المؤلف من التحقيق ؟

قلنا : اصح هذه العناوين هو ما ذكره ابن النديم لان المؤلف قديم وله اتم الوقوف على اسماء الكتاب والمصنفين وكل من يطالع كتابه الفهرست يشهد له بسعة الاطلاع وغزارة العلم فعنوان الكتاب هو اذاً « كتاب الالفاظ » وزيادة « الكتابة » هي من الفساح ، وزيادة الاشياء والنظائر هي من زيادة الفساح ايضاً او من الواقف على طبعه وعليه فالواقف ان يعاد العنوان الى صحته بدون زيادة .

واما اسم المؤلف الحقيقي فلا جرم انه الاسم الذي اوردته ابن النديم اي : عبد الرحمن بن عيسى الهمداني (ببدال مهمل) ومع ما كتبه نسبة الى همدان وهي قبيلة باليمن من حمير نسب اليها جماعات عديدة من العلماء . لا نسبة الى همدان بجم مفتوحة وذال معجمة فان هذه اسم بلدة في بلاد فارس . ووم الطابع في هذا الاسم هين . لكن هم العلامة الآلوسي عظام لانه وان كان قد كتب على اول صفحة من الكتاب انه لابن الانباري فكيف جاز له ان يكتب على رأس كل صفحة من صفحاته (وهي ١٣٢) هذه الكلمات : كتاب الالفاظ لعبد الرحمن بن عيسى . فكان يجب عليه ان يطابق احد الامرين على الآخر اما ان يقول انه لابن الانباري في صدر الكتاب وفي مثابه واما ان ينسب الى ابن الانباري اولاً وآخر . على ان عمله هذا اهان كل الابانة انه غلط لا محالة . ومن غريب الامر ان الشيخ الآلوسي ذكر ترجمة ابن الانباري قبل ان يذكر مقدمة المؤلف ولما اورد هذه المقدمة قال فيها : « قال عبد الرحمن بن عيسى حماد : الصناعات مختلفات . . . فكيف لم ير البون

البين بين النسبين وهما واضحان متميزان . على ان الانسان اذا تذكر هذا الكلام
المأثور : لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة . تحقق ان اعظم العلماء قد يزل مع ما عليه
من حسن النية واخلاص الطوية .

وفي نسب صاحب كتاب الالفاظ بعض الاختلاف فطبعة بيروت نقول في ترجمة
عبدالرحمن وفي المقدمة : عبدالرحمن بن عيسى بن حماد الحمداني الكاتب . وطبعة
الاستانة نقول : « عبدالرحمن بن عيسى حماد وابن النديم يقول : « عبدالرحمن بن
عيسى الحمداني » . فلا غرو ان اسم حماد داخل في نسب عبدالرحمن لكن هل ترى
كان من اجداده ام لقب ابيه . فهذا ما لا يتضح الا بعد التنقيب عن هذا الاسم في عدة
نسخ وفي ذكر نسب المؤلف كمعجم الادباء لياقوت . ولهذا لا ننجزم فيه .

ومن غريب الامران طابع النسخة البيروتية مع وفرة اطلاعه على المطبوعات العربية
في الشرق والغرب لم يذكر طبعة هذا الكتاب في القسطنطينية ، فهل كان منه جهلاً
او تجاهلاً ؟ نقول : الالتيق ان نقول انه فعل ذلك منه لان نسخة الاستانة وان
طبعت قبل نسخته فانها لم تطبع الا قبل اربعة اشهر فقط ولما كانت مطبوعات الاستانة
قليلة الشهرة ظلوا الحاضرة من الجرائد العربية يومئذ هان لنا ان نفهم جهله لما يطبع
هناك . وعلى كل فكان الاجدر به ان يذكر هذه الطبعة في النسخ التي جدد نشرها
بعدئذ . ولعل الامر فانه بالمرّة وهذا ليس ببعيد . اما بعد الآن فهو ليس بمعذور .
وان سألتني ابن النسخين هي الفضلى : الطبعة الأوسية ام الطبعة البيروتية ؟

قلنا : عليك ان تعلم قبل هذا ان الطبعتين وان كانتا لتتفقان بعض الاحيان
تختلفان في اغلب المرات . وهذا الاختلاف موجود في الابواب وفي كثرة المواد .
فانك مثلاً تجد تارة ابواباً غير مذكورة في الطبعة الأوسية وهي مذكورة في الطبعة
البيروتية وطوراً بالعكس . ثم انك تجد في الباب الواحد مادة وافرة في نسخة دون
النسخة الاخرى . هذا فضلاً عن الاختلاف في تنالي الابواب وفي عناوينها ثم انك
تجد في الطبعة الأوسية اغلاط طبع لا نخفي كما ان اغلاط الطبعة البيروتية في
اللغة كثيرة

وقبل ان تصدر حكم المفاضلة بين النسختين نذكر باب المعايير في كلتا الطبعتين
ليمكنك ان تقبل حكمتا او تزدله بعد الاطلاع على مثال يكون لك بمنزلة قياس تقيس
عليه ماورد في كلتا الطبعتين

١ : جاء في الصفحة ١٢ من كتاب الالفاظ المطبوع في الاستانة ما هذا نصه :

باب المعايير

يقال ثلب فلان (حاشية) قال الواقف على تصحيحه : لعله فلاناً بالنصب ، ولكنه كتب بالدفع (كذا . وهذا من غلط الطبع والاصح : الرفع) في الاصل مصححه (قال صاحب هذه المقالة : الاصح ان يقال : ثلب فلاناً . واما فلان فمن غلط الناسخ لاغير) ، وقصبه ، وشتره ، وضرسه ، وسمع به ، وندد به ، وشرد به ، وسبعه ، وتنقصه وعابه ، وجد به ، ووقع به ، وشعث منه ، والحلم عرضه ، وقرع صفاته ، وترفع في عرضه وسبه ، وقذعه ، وزوده الخنا ، واخذ من جنبه ، وقرع مسامعه ، ومزق اديمه ، وقرع مروته ، ونحت اثنته بالفتح ، واخذ من عرضه ، واتبعه القبيح ، وذكر معايير ، ومثالبه ، ومعايير ، ومشاينه ، ومناقضه ، ومخازيه ، ومساويه ، ومقايجه ، ومقاذره ومفاضحه ، وسوائه ، ومساويه . قالت ليلى الاخيلية :

لعمرك ما بالموت عار على الفتى اذا لم تصبه في الحياة المعايير

والقذع ، والخنا ، والرفث ، والفش حر القبيح من الكلام . ويقال فلان بذى اللسان ، ملج ، سباب . وقد بذو بذاءة ، والازراء ، والطعن والقذح ، والغميضة (كذا) والتعيير ، في طريق واحد ، ويقال : كانت من فلان نواقر ، وبوادر ، وقوارص ، وشتائم . وقد سفه علينا فلان سفاهة ، ولم يكن سفيهاً ونقول : نعوذ بالله من قوارعه ، وقواذعه ، ونواقره ، وقوارص لسانه .

٢ : وجاء هذا الباب في الصفحة ٢٠ من الطبعة البيروتية بهذه الصورة :

باب الثلب والطعن

نقول : ما زال فلان يذكر معايير فلان ، ومثالبه . ومساوئه . ومقايجه . ومشاينه . ومقاذره . ومناقضه . ومخازيه . ومعاييره . ومساوئته . وسوائه . قالت ليلى الاخيلية في المعايير :

لعمرك ما في الموت عار على الفتى اذا لم تصبه في الحياة المعايير

ويقال : ثلب فلاناً ، وتنقصه . وعابه . (ويقال :) غيرته كذا ، ولا يقال بكذا . قال النابغة :

وعيرتني بنو ذيبان خشيتهم وهل عليّ بأن اخشاك من عار

ويقال : تكرت على فلان ماصنع وانكرته ونكرته . (ومنه قول القرآن الجليل :)

نكروا لها عرشها اي غيروا .

ويقال : سبه ، وجده جدباً ، وقصبه ، وجرحه ، وشربه ، وشربه ، وشربه عليه ، وحرسه ، وشعث منه ، وسمع به ، وندبه ، وزرى عليه . (يقال :) زرى فلان على فلان قوله اذا عابه ، ونقصه زرباً ، وازرى به اذا صغره ازراً ، وقذح فيه ، وطعن عليه ، ونقم عليه ومنه وفي عرضه سبه ، وقذعه ، وقفاه يقفوه ، وطاخه بقبيح اذا لطحه به ، ووقع فيه ، وقرع صفاته اذا قال قبيحاً في عرضه . ونحت ائلته ، واستطال في عرضه ، (والفـشـ ، والقذع ، والحنأ ، والرفث ، القبيح من الكلام) . (يقال : فلان بذى . اللسان ، ملحب ، وسباب ، والحنه عرض فلان اذا امكنه من شتمه .) (والازراء ، والطعن ، والقذح ، والغميزة ، والتعبير) (في طريق واحدة) . (ونقول :) قد كانت في فلان قوارص ، ونواقير ، وشثائم . (فنقول :) نعوذ بالله من قوارعه . ولواذعه ، ولواذغه ، وقوارص لسانه ، وبذي فلان يذئاً ، وبذو يذو بذاة ، وقد سفه علينا سفاهة ، ولم يكن سفيهاً وقد سفه .

فانت ترى بين هاتين النسختين فرقاً ظاهراً . والصواب والغلط يتجاذبان الطرفين فمرة يكونان في هذه النسخة ومرة في تلك فتمسك انت بما يوافق الصحة .

وبعد هذا التبيين نقول : ان نسخة بيروت اصح طبعاً من نسخة الآلوسي . فان الاغلاط التي وردت في طبع هذه الاخيرة تنفر كل انسان من مطالعتها . ومع ذلك ففيها من الفوائد ما لا تراها في النسخة البيروتية . ولهذا يجدر بأحد الادباء ان يجمع بين النسختين ويصحح الواحدة على الاخرى ليكسب رضا الجميع في احياء مآثر السلف

الخلاصة

كتاب الالفاظ (ولا يجوز لك ان تغير هذا العنوان بقولك : كتاب الالفاظ الكتابية . او كتاب الفاظ الاشياء والنظائر) هو لعبد الرحمن بن عيسى (بن) حماد الهمداني نسبة الى همدان القبيلة البائية المشهورة . وليس لعبد الرحمن بن محمد بن سعيد الانباري ، لاسيما اذا علمت ان ابن الانباري ولد سنة ٥١٣ وتوفي سنة ٥٧٧ وان الهمداني توفي سنة ٣٢٠ وان من النسخ القديمة الكتابية التي ظفر بها الطابع البيروني ما كتب سنة ٥٢٢ اي تسع سنوات بعد ولادة ابن الانباري فلا يعقل انه الف كتابه في هذا العمر . وعليه يجب تصحيح ماورد من الخطأ والوه في هذا الباب . فان تفعل تحفظ بالصواب .

وصف كتاب جامع التعريب ، بالطريق القريب .

من تأليف أحد علماء القرن الثاني عشر الهجري أو السابع عشر الميلادي

في جامع مرجان من جوامع بغداد خزانة كتب جليلة من وقف نعمان الآلومي المؤلف الشهير ابن المؤلف الكبير محمود الآلومي . وبين كتبها الخطية كتاب اسمه جامع التعريب ، بالطريق القريب . الا ان صاحبه لم يذكر اسمه لاني صدر الكتاب ولا في عجزه . والظاهر انه عالم من علماء القرن الحادي عشر للهجرة يقول ذلك ثانياً وتكميلاً لانا كيداً وثبثاً . اعتماداً على كلام صاحب كشف الظنون المتوفى سنة ١٠٦٨ هـ - ١٦٥٨ م اذ يقول عن معرب الجواليقي : « وهو كتاب لم يعمل فيه أكثر منه » فالظاهر من هذا القول ان الحاج خليفة لم يعرف هذا الكتاب الذي تشير اليه لعدم وجوده يومئذ . والا لما قال تلك العبارة . ثم ان المؤلف جامع التعريب لم ير كتاب الخفاجي لانه لوراء او كان ممن عاش قبله لذكره ايضاً في مقدمته وعليه نظن ان الكتاب كان في عصر الحاج خليفة والخفاجي نفسيهما

وهذا الكتاب من اوسع واحسن ما كتب في هذا الموضوع والنسبة الموجودة امامنا حسنة الخط طولها ٢٢ سنتيمتراً في عرض ١٧ وفيها ٣٦٠ صفحة وفي كل صفحة ٢٥ سطراً وهي مجلدة بالسنتين والكاغد اخضر اللون . قال الناسخ في آخرها : تمت كتابته في سلخ جمادى الاولى سنة ١٢٠٢ بخط اقر الوري واضعهم الى الغني القوي عبد الكريم بن احمد بن محمد الطرابلسي الخلوقي الحنفي غفر الله له ذنوبه آمين » واذا وقفت على مقدمته عرفت بعد منزله . قال : « الحمد لله الذي صان بلغة العرب الكتاب والسنة . وظهر بها على غيرها من اللغات الفضل والمنة . ومنع بين اقامه بضبطها الاجنبي والغريب . وميز لم ما وقع بها من الاعجمي وما فيه التعريب احمد على التوفيق لسلوك الادب . وزوم تحصيل فضائل العجم والعرب اما بعد فاني بعد ان وقفت على كتاب العرب ابتداء الاستاذ ابي منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الجواليقي شكر الله مسعاه . وجعل الجنة مقراً ومثواً . كان محتاجاً الى تنمية في الترتيب . وزيادات فائقة في آثار التعريب . ظفرت بكتاب التزييل والتكميل . مما استعمل في اللفظ الدخيل . الذي جمعه الفاضل المتبع جمال الدين عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد العزيز بن ابي بكر بن موسى اللعذري الرثوي الشهير والده بشيبي

(ويروى بسبسي) بخطه . فوجدته والله قد افترغ الوسع في التبع والاستشهاد . بهمة
تقارب رتبة الاجتهاد . بل احسن فيه الجمع وحسن الترتيب . معونة للطالب والاديب .
غير ان فيه تكراراً واطالة ربما تقضي الى الكسل والملالة . فاحسبت ان اختصر من
الاصل ما زاد جرياً على المألوف والمتعارف والمعتاد ، مع رعاية الاختصار والابحاز .
وتبين ما يتحقق به الاحاطة والامتيان . مع زيادات وحسن تلخيص . تباعداً عن
الاسهاب والتعميص . وسميته : جامع التعريب . بالطريق القريب . والله اسأل
المعونة والتوفيق . — ثم قال : باب الهزمة مع الالف : آب وهو يكتبها هكذا آ آب
اي بالف ممدودة وراءها الف هاوية كما كان يفعل الاقدمون في مثل هذه الالفاظ .
ثم يذكر بعدها آ اجاص . آ اجر . آ اجنقان . آ اذار . آ آدم . آ الخ . وهو
بشرح كل لفظة شرحاً مشبعاً لا يبق لمستزيد زيادة .

الا ان الناسخ وان كان حسن الخط وخطه تعليق الا انه لا يحسن النسخ ولهذا فقد
مسخ الفاظاً كثيرة لجهل معناها فصورها بصورة مألوفة السمع سهلة الفهم لكن لا تنطبق
على بقية العبارة . فلهذا يحتاج القاري الى التيقظ التام في تصفح الكتاب . وفي شرحه
بعض الالفاظ شروح ضافية الدليل ، ناقلاً ايها عن عدة كتاب سبقوه مما يحرص عليها
كل الحرص . وربما خرج في كلامه الى مالا محل له كما كان يفعل المصنفون في سابق
العهد . — والمؤلف قد ادخل في سفره الفاظاً جملة لم ترد في معربات الجواليقي ولا في
شفاء الغليل ولا في غيرهما من مؤلفات هذا القبيل . ولهذا نرى طبعه من الضروريات .
وربما ذكر في كتابه اعلام المدن والرجال لكنها دون الالفاظ الجنسية عدداً واعتناءً
وقد حان لنا ان نعطي مثلاً من كلامه ونذكر ما جاء في « ابوجاد » من الشرح
وقد ورد في الصفحة ١١ من النسخة المذكورة . وهذا نصه بحرفه :

أبوجاد لفظ مرياني قيل هو اسم ملك من الاول وكذا هوز . حطبي وقيل اسم
لاول ايام الاسبوع قال سيبويه . ابوجاد وهوز وحطبي بياء مشددة اسماء عربية واما
كلمن وسعفس وقريشات « ا » فانهن اعجميات لا يتصرفن وانشد :

اتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة احرف متتابعات
وخطوا لي اباجاد وقالوا تعلم سعفسا وقريشات

قال ابو سعيد السيراقي : فصل سيديويه بين ابي جاد وهوز وحطي فجعلهن اعجميات . وكان ابو العباس يميز ان يكن كلهن اعجميات . وقال بعض المحتجين بسيديويه : انه جعلهن عربيات لانهن مفهومات المعاني في كلام العرب . وقد جرى ابو جاد على لفظ لا يجوز الا ان يكون عربياً نقول هذا ابو جاد . ورأيت ابا جاد . وعجبت من ابي جاد قال ابو سعيد : والذي يقول انهن اعجميات غير مبتعد عندي ان كان يريد بذلك الاصل فيها العجمة لان هذه الحروف عليها يقع تعلم الخط بالسرياني وهي معارف . وقال بعضهم : جاد في قولك : ابو جاد مشتق من جاد يوجد او من الجواد وهو العطش او من قولهم جوداً له اي جوعاً له ! ووقع الناس في ابي جاد اي في باطل قال الامام قطرب : قولهم ايجد هو ابو جاد وانما حذف واوه لانه وضع لدلالة المتعلم . فكره التطويل والتكرار واعادة المثل مرتين فكتبوا ايجد بغير واو والفاء لان الالف في ايجد والواو في هوز قد عرفت صورتاهما وكل ما مثل من الحروف استغني عن اعادته . قال ابو عبد الله حمزة بن الحسن الاسفهاني يقال : ان اول من وضع الكتابة العربية قوم من الاوائل نزولوا في عدنان بن ادد فاستعربوا ووضعوا هذه الكتابة على عدد حروف اسمائهم فكانوا ستة نفر اسماءهم : ايجد . هوز . حطي . كلن . سعفص . قرشت . وانهم ملوك مدين رئيسهم كلون فهلكوا يوم الفيلة مع قوم شعيب عليه السلام فقالت اخت كلون ترثيه :

كلون هدر ركني هلكه وسط المحلة (١)

سيد القوم اناه الحستف ناو وسط ظله

جعلت نار عليهم دارهم كالمضمحلة

هذا وقد تورم الصغاني ان حمزة قائل هذه الايات في كتابه التنبية على حدوث التصحيف . وليس كذلك ثم وجد ما جاء بعدهم حروفاً ليست من اسمائهم وهي ستة الاء واخاء والذال والضاد والفاء والغين فسموها الروادف « ويدل على كون ايجد وما بعدها اسماء رجال وضعوا الكتابة العربية عليها كون هذه الكلمات الواقعة على حروف الهجاء لم تزل مستعملة على عمر الدهور عند كل امة وجيل من سكان الشرق والغرب متداولة في الاعداد النجومية وكذا هنا عند السريانيين فهي الاصل الذي

(١) ويروي : كلون هدر ركني . هلكت وسط المحلة

يتعلم منه الهجاء « ١ » وتبعهم في ذلك الاسرائيليون من اليهود والنصارى بدرسونه صبيانهم في كنائسهم قائلين هجاء العبرانية الف . باء كمل . دالت . يتبعونه بما بعده على حكاية لغتهم وهذا هو الذي عر به عرب الاسلام فقالوا ابجد مكان الف . باكمل دالت . قال ابن دريد : في حروف الهجاء العربي حرفان لا يعمران الا على لسان العرب ولا يوجدان في لغات سائر الامم وهي الظاء (٢) والحاء وخواف في الهاء بأنها موجهة في السريانية والعبرانية والحشية وقيل الضاد لاتقع في لغة الروم كما ان الصاد لاتقع في لغة الفرس (٣) والذال لاتقع في لغة السريانيين كما انه لا يقع في لغة العرب لام بعدها شين وكما لا يقع فيها حرفان من حروف الهجاء لفظهما واحد متجاورين في اوائل الاسماء نحو شش كك وقد يقعان في اواخرها نحو تكك ومشش الا في اسماء اصلها فارسية ككوبيات (٤) وددان كما انه لا يقع الذال في لغة الفرس في اوائل الاسماء والافعال وانما تقع في اواخرها واسطها وكون اصل الهجاء العربي مؤسس

(١) قلت : ليست هذه الحروف اسماء ملوك ولا اسماء ايام الاسبوع في سابق العهد . كما أنها ليست بالفاظ عربية الاصل ولا هي معارف او نكرات ولا هي اعلام واضعي الكتابة العربية ولا . . . ولا . . . وانما هي كلمات جمعت فيها حروف المعجم تسهلاً لحفظها متتابعة على الترتيب الذي وضعه لها الفينيون في اول عهد تدوينها حروفاً مقطوعة عن صورها الاصلية التي كانت تصور بها . وقد فعلوا ذلك ابتغاءاً للتعلم بالفاظ مستعملة في معنى من المعاني بعد مللهم من تركيبات مهملة هجائية لا معنى لها في ذاتها . وقد قطعوها لقطيعاً يحصل منه معنى عند العرب ليتيسر حفظها وهناك من آراء كتاب العرب ما تراه مبسوطاً في كتاب الف باء اللبوي والقاموس للفيروز آبادي والتاج للسيد المرتضى ومروج الذهب للمسعودي ومقدمة ابن خلدون وغيرها لغيرهم . وقد شربنا عنها صفحاً لانها كلها من هذا الوادي الغريب . - هذه الحاشية لي . لكن في النسخة الخطية حواش لرجل اسمه « رياضي » وكل مرة تكون الحاشية له نجعل في آخرها « رياضي » لكي لا تنسب اليها ما هو الى غيرنا . فليحفظ .

(٢) كذا والاصح الضاد

(٣) وقد يوجد حرف الصاد في لغة الفرس حتى قالوا « صد » يعني المائة وهي

بالسيف في الاصل كذا في اللغات الفارسية (رياضي)

(٤) ولعل الاصح : ككوبيان

على : « ابثت جفد ذر زرس شصضط ظفغف ففكم توهي » هو قياس ابثت والف من حروفها وبأوجمل تجري في العربية بحري ابجد في السريانية لكن هذا الخبر صادر عن رجل كان يولد الاخبار على الامم الذين بادوا كعاد وثود وطسم وجديس واضسراهم واذا احتاج الى توليد اشعار يؤكدها تلك الاخبار خرج ملتصقا بمن يحسن الشعر من الاعراب تقديره ان يقول شعراً من جنس مراده فكانوا يعلمون مثل يكون هدر كني وهذا الرجل هو الذي ادعى على آدم عليه السلام انه انشد

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم وريح (١) وزال بشاشة الوجه الملبح

وبدل اهلها اثلاً وخمطاً بيتات من الفردوس فيح

وجاور ما عدو ليس بنأي (٢) لعين لا يموت فنسرعج

(٣) فلو لا رحمة الرحمن اضحى للعين من جنان الخلد ريج (٤) كذا . والاصح : يكفك

فيا اسفاً على هاييل ابني قتيلاً قد توسد في الضريع

فنسب معاوانه (٤) الى نبي الله شعراً ركيكاً واهي الركن ضعيف الامر ذا اقواء

مع ثبوت ان الاقواء من اقبح عيوب الشعر وعدم مطابقة قوله تغيرت البلاد ومن

عليها وابن كانت بقاع تلك البلاد ومن كان عليها اذ ذاك . علي بن هشام قال في كتابه

التيبان بعد انشاده هذا الشعر . قال جبير ابن مطعم ليس هو الى آدم عليه السلام بل

هو منقول اليه وهو عليه (كذا) واستخف منه زعم من قال ان ابليس اجاب عنها بقوله :

(١) ويروى تغير كل ذي حسن وطيب . وقل . . . ويروى ايضاً : تغير كل ذي

لون وطعم . وقل . . . (راجع نفع الطيب ١ : ٣٦ « ومروج الذهب » طبع باريس :

١ : ٦٥ .

(٢) ويروى ينسى . . .

(٣) ويروى بعد ذلك :

وقتل قايين هاييل ظملاً فوا اسفاً على الوجه الملبح

فما لي لا اجود بسكب دمع وهاييل تضمه الضريع

ارى طول الحياة علي غمما وما انا من حياقي مسترعج

(٤) والاصح : معاياته اي كلامه الذي لا يهتدى له .

تفج عن البلاد وساكنيها فقد في الخلد ضاق بك الفسيح
وكنت تعيش وزوجك في رخاء وقلبك من ذوي الدنيا فرج
فما انقلبت مكابدي ومكري الى ان فانتك الثمن الريح
فلولا رحمة الجبار اضحى بكفك من جنان الخلد ربح

ولعمري كم من مفسر ومؤرخ يذكر هذا الشعر ولم ينبه على ضعفه فكم ترك
الاول للآخر . وكم دام من السخف على الخواطر . وقد جاءت روايات غارية من
الحال (١) بحققة الحال من الانبار الى الخيرة ثم من الخيرة الى مكة والطائف وتسويده
ماروي عن يحيى بن جعدة انه قال سألت المهاجرين من اين صارت اليكم الكتابة
بعد ان لم تكونوا كتبة فقالوا من الخيرة فسالنا بعده من اهل الخيرة ممن اخذتموها فقالوا
من اهل الانبار وروى ابن الكلبي والهيثم بن عدي : ان الناقل لهذه الكتابة من
العراق الى الحجاز حرب بن امية وكان قدم الخيرة قدما فعاد الى مكة بها . قال :
وقيل لابي سفيان بن حرب ممن اخذ ابوك هذه الكتابة . فقال من اسلم بن سدره
وقال سألت اسلم ممن اخذت هذه الكتابة فقال من واضعها مرامر بن مرة فحدث
هذه الكتابة للعرب قبيل الاسلام صحيح بويدته حدوث آلات لهم لم تكن قبل
كاخطاب والشعر والبلاغة فلنها قرية الميلاد من اقبال دولتهم وقد كانوا عبروا الدهر
الطويل وهم اميون لا يقرأون ولا يكتبون وكان الحميز كتابة يسمونها المسند منفصلة غير
متصلة وكانت مبانة لكتابة العرب على حدة في اللغة والدير بعيدة الدار من بلادهم
في منقطع التراب على شاطئ البحر جيرانا للبحشة والزنج وكانوا يحفظون تعليمها على
العامة مع انه كان لا يتعاطاها الا من اذن له في تعلمها فلذلك دخلت دولة الاسلام
وليس بجميع اليمن من يقرأ ويكتب . . .

وجل كتابات الامم من سكان الشرق والغرب اثنتا عشرة كتابة وهي العربية
والحميرية والفارسية والعبرانية واليونانية والرومية والقبطية والبربرية والانديسية
والهندية والصينية والسريانية فخمس منها اضمحلت وبطل استعمالها في بلادها وعدم
من يكفها في بلاد الاسلام وهي الحميرية والقبطية والهندية واليونانية والصينية واربعة
مستعملات في بلاد الاسلام وهي العربية والفارسية والسريانية والعبرانية واما

(١) الحال بمعنى الحالي من الحالية .

العبرانية فنوع واحد لا تتفنن وإنما تتغير بتفصيل اقلامها حال التجويد او التعليق .
واما الفارسية فقسمة فنون على ما ذكر ابو جعفر محمد بن المؤيد المشوكلي فانه زعم ان
الفرس كان امام ملكها مقرر عن اصناف ايادياتها (كذا) سبع كتابات وهي برم « أ »
دفيهر وكشته « ٢ » دفيهر ونيم كشته « ٣ » دفيهر . وفروده « ٤ » دفيهر . وسف
« ٥ » دفيهر . فمعنى الاولى الكتابة العامية والثانية الكتابة المغيرة والثالثة الكتابة
المغيرة نصفها والرابعة كتابة الرسائل والخامسة كتابة السر وكانت كالترجمة والسادسة
كتابة الدين وكان يكتب بها قرآنهم وكتب شرائع دينهم والسابع جامع الكتابات
يشتمل على لغات الامم من الروم والقيبط والبربر والهند والصين والترك والنبط والعرب
وكانت كتابة العامة من بينها ترسم قلما وعشرين قلما لكل قلم منها اسم على حدة نحو
ما يقال في الخط العربي خط التجويد . وخط النحاس . وخط القراطيس . وخط
التحرير وخط التعليق وكانت صناعة الكتابة ذات اسماء مختلفة تلزم فنون طبقات
الاعمال وقد نسي اكثر اسمائها لكثرتها فقد كانت غير ذلك فدرست وصاروا يستعملون
منها هذه الانواع السبعة كما كانوا يستعملون في الخطابات اللغات الخمس الفهلوية
والدرية والفارسية والخورزية والسريانية . فالاولى كان بها كلام الملوك في مجالسهم
وهي منسوبة الى فلهه الواقعة اسما على خمسة بلدان وهي : اصبهان والري وهمدان وماء
نهاوند وآذربيجان والثانية لغة مدن المدائن وبها كان يتكلم من بياب الملك وهودر
بالفارسية والغالب عليها من لغات اهل المشرق لغة اهل بلخ والثالثة كان يجري بها
كلام الموابدة ومن ناسبهم من كور بلاد فارس والرابعة منسوبة الى خوزستان
وكورها الثلاث وبها كان يتكلم الاشراف في الخلوات كالنعمري في الحمام والابن
والمقتل والخامسة منسوبة الى كور بلد سورستان اعني العراق والسريانيون هم النبط
وبها كان يجري كلام حاشية الملك عند الناس الحوائج وتلكي الظلامات وكان للفرس
« كتابة العصا » حكاهما السلفاني وكانت ملوك الفرس تودعها الاسرار في مخاطبة
خواصها وعملها ولم يكن يخط ولا باعداد ولا بما يجري مجراها وإنما كانت تعتمد الى
جلد ايض فقد منه سيرا طويلا ثم تعتمد الى عصي الفيح او المكاري فتلف السير
عليها وتضم حروف السير بعضها الى بعض ثم تدعو بمسامير وتركيها عليها ثم تكتب فاذا
« ١ » و يروى رم دبيري « ٢ » و يروى كشته دبيري « ٣ » و يروى : نيم كشته
دبيري « ٤ » و يروى وفروده دبيري « ٥ » و يروى راز ميري

انتهت انكثابة ملت تلك المسامير وكشف ذلك السير عن العصي فكان ما كان منها الا فقط متفرقة ثم تاف السير وتجعل كالطبق ويقال للمكاري اذا نزلت منزلا فضع طعامك عليه لتروم انه طبق طعامك فيكون هذا دأب الرسول الى مبلغ المكتوب فح يرد لف السير على العصي كما كان رسم بان يجعل الثقب التي في السير تجاه الثقب التي في العصي ويشك المسامير في الثقب ثم يضعها عند المكتوب اليه فهدء الكتابة التي كانت اذا ضم بعضها الى بعض امكن قراءتها واذا نشر زالت صورتها وتعذرت قراءتها ومثل احمد بن علي المتوكل عنها فاخذ درجا من كاغد فكسر منه شبيها بورقتين وضم اثناءه بعضها الى بعض ثم كتب عليه شيئا يقرأ ثم نشره وبسطه فصار في كل موضع من الورقتين كالعلامة والنقطة فهذا الذي ارى بقول الشاعر :

اي كتاب بالطي تعرفه وعندهم تبين احرفه

وانشر مما يزيل صورته وكتبنا كما س تخالفه . اه بحرفه

فانت ترى من هذا المثال ، الطويل المتقال ، الواسع المجال ، ان هذا الكتاب الجليل من احسن ما صنف في هذا القليل . ولا سيما لان الكاتب قد احاط بكثير من الالفاظ التي لم يذكرها من سبقه الى هذا الموضوع . بل ولم ينوه بها من جاء من بعده . ولهذا نتمنى ان يخرج هذا التصنيف البديعة الى عالم المطبوعات . لينتفع به محبو اللغات . ويقف على بعض محتوياته مالا يوجد في كثير من المصنفات . قيض الله ادبيا فاضلا يعني به . انه عظيم كريم .

سائنا

بغداد :

تقارير المجمع العلمي السميثوني

عن سنة ١٩٠٩ - ١٩١٠ - ١٩١١

Annual Report of the Smithsonian Institution
1909—1910—1911

عودنا هذا المجمع الاميركي ان يمتعنا كل عام بتقرير عن اعماله السنوية وذلك بكتاب ضخم يخص القسم الاكبر منه لنشر ما يظهر في عالم المطبوعات من الابحاث والمحاضرات العلمية سواء ظهرت في اوربا او اميركا . وامامنا الان ثلاثة من هذه

التقارير الاول لسنة ١٩٠٩ واهم ما فيه من الابحاث بحث في مستقبل العلوم الرياضية ويبحث فيما ذا يميز المناطيد وآخر في تقدم الطبيعيات وآخر في مسألة التزوجين من الوجهة الحربية وآخر في مذهب هالي وعودته وآخر في طبقة الهواء العليا وآخر سيفه المبلورات وغيره في الصور الثارية وفي البراكين وفي حفظ الوارد الطبيعية وفي البعثة البريطانية الى القطب الجنوبي وآخر في رسم بحر غيريتلاند ورحلة في افريقية من التيجر الى النيل ومحاصرة في ماضي العراق وحاضره ومستقبله القاه السير وليم وبلوكوكس في الجمعية الجغرافية الانكليزية . ومجثان في النشوء الحيواني ومذهب دارون . وآخر في قدم الانسان في اوربا وآخر في نسبة العلم الى حياة البشر وآخر في نسبة الحشرات الى الامراض وآخر في المقاومة الطبيعية للأمراض السارية واسعافها وهذه الابحاث كلها من اقلام غنية رجال العلم في اوربا واميركا .

اما تقرير سنة ١٩١٠ فهو كالذي سبقه في الحجم والاتقان وان كان ادق والطف من الاول ورقا واهم موضوعاته : بحث في تزاويق البسط والسجاد وفي تقدم فن الطيران حديثا وآخر في الانفعال بالاراضي المنقورة في غربي الولايات المتحدة وآخر في القوة الكهربية من نهر المسيسيبي وآخر في وسائط التأمين في معامل التولاذ سيفه الولايات المتحدة وغيره في نقل الرسوم بواسطة التلفراف السلكي واللاسلكي . والآراء الحديثة في تركيب المادة . التقدم الحديث في وسائط تجزئة المفرقات . البكتريوسكوب . مسائل فلكية في المناطق الجنوبية صلاح الارض للحياة في المستقبل . حفظ الغابات بحث في معرفة نوع الجنين وآخر سيفه ريش النعام . نظرة من الوجهة الاقتصادية والجغرافية في الشعوب السلافية المعاصرة . وآخر في سكان الكهوف في العالم الجديد والتقدم . حالة المزارع الصحية والسل وانتشاره .

ويحتوي تقرير سنة ١٩١١ كغيره ابحاثا مفيدة في الطبيعيات والفلك والحيوان والكيمياء وطبقات الارض وحفظ الصحة الى آخر ما نشر من الموضوعات الحديثة خلال تلك السنة .

وهذه التقارير في الجملة غاية في الاتقان والدقة مزدانة بالرسوم حسب ما تتطلبه الابحاث والناظر اليها يشعر في هذا المعهد العلمي سنة عن سنة نفع الله العلم به واكثر من امثاله في العالم . وقيض لهذا الشرق العربي انسانا يخدمونه في الماديات ليخرجوا به من عالم الادبيات والخطايات .

اخبار وافكار

ايطاليا والاسلام

قال لنا ذات يوم احد علماء الشرقيات من الالمان اندري السر الاعظم في غلبتنا الفرنسيين في حرب السبعين فذكرنا له ما حضرنا من الاسباب فقال : لا هذا ولا ذلك وانما كننا معاشر الالمان عارفين بما عند جيراننا حتى المعرفة امامهم فكانوا يجهلون حقيقتنا ولذلك كتب النصر لنا .

ولقد حملت مجلة العالم الاسلامي الباريزية مبحثاً لمسئولين كاثوليك من مستشاري فرنسا تحت عنوان « ايطاليا دولة اسلامية » فآثرنا نقل لبابه الى العربية ليعلم من لا يعلم ان كل امة لاتعرف ما عند جاريتها تغلبها كما غلب الالمان الفرنسيين وان التمسجد بالقديم وحده دون ان يكون لصاحبه شيء من دواعي الشرف الحقيقي الطريف مما يلقي بالام من قم العز الى دركات الدل وان الشرف بقدره يعد له قوة تعادل قوة الغرب يزدرده هذا وبقضي عليه سنة الله في خلقه . قال العالم الفرنسي :

ان معاهدة لوزان الاخيرة التي اعترفت بامتلاك ايطاليا الفتاة الليبا قد ادخلت ايطاليا في مصاف الدول الاسلامية فان اثر الحرب بين ايطاليا والعثمانية في المسألة العثمانية البلقانية كل التأثير فقد اثر في مكانة ايطاليا ونفوذها ووجهتها السياسية والاقتصادية ايضاً . واعتبرت حملة طرابلس حادثاً جديداً لقسم قارة افريقية بين الدول الاوربية وعنواناً حديثاً لسلطان المدنية الغربية الطامعة القوية على الغلبة الشرقية .

وراحت ايطاليا مدفوعة بعوامل التذكريات الماضية وما اصابها من الفشل بين جاراتها ومنافساتها تريد الظهور في القبض على قيادة بلاد البحر المتوسط .

وما من حرب منذ سنة ١٨٥٠ وقعت موقع القبول عند الشعب الايطالي مثل حربها الاخيرة اذ تلقتها الامة الايطالية بالبهجة على اختلاف طبقاتها ومن النساء من ارسلن ثلاثة اولاد لارابع لمن الى ديار الحرب وخرجن يودعنهم ويقولن « لتجي الحرب » فقلت الحملة في ذهابها وابائها من ضروب الاكرام في بلادها شيئاً كثيراً ولا تسل عن فرح القوم يوم شاهدوا ابناهم عائد ين يحملون شارة الاستعمار لبلاد ربما كان ابناؤها في المستقبل جيش ايطاليا الاسود .

وحدث ما شئت ان تحدث عما صدر في ايطاليا من الكتب والرسائل والصحف في وصف طرابلس وبرقة وما الى ذلك يوم نادى ايطاليا : هيا الى الحرب وعصبتها الصحف والحكومة على اختلاف صبغاتها في هذه الدعوة لا ليكون لايطاليا مجد ومصروف اقتصادي فقط بل لتكون على قيد غلوة من بلادها اراض مخصبة بزلها ابناؤها الذين يكثرون كثرة زائدة ولذلك كانت ايطاليا تمجد بحجاسة تمازجها سذاجة اقل حرس يعود من ليبيا وكيسه على ظهره كما كانت تنألم لاقل نقد يأتيها من الخارج . فالاسلوب العملي العظيم الذي وفقت اليه ايطاليا لوضع الحرب اوزارها قد انهمى بتجديد الامة الايطالية . بعثت ايطاليا مئة الف مقاتل على اسطولها الفاره لتقضي كل القضاء على الاتراك والاعراب ممن لم يتيسر لحماستهم الدينية وسحبهم للاستقلال ان ينوباً مناب الاسلحة المنتظمة والذخائر والجند والنظام .

اغتنبت ايطاليا بفتح طرابلس وبرقة واثبتت انها الوارثة الوحيدة لمملكة رومية التي كانت الحاكمة على العالم في القديم وحققت امانيها منذ خابت يوم ضمت فرنسا تونس اليها سنة ١٨٨١ وانتهزمت في الحبشة سنة ١٨٨٩ لانها عادت فاصبحت مملكة مستعمرة بما فتحته من ليبيا التي فتحها رومية منذ الزمن الاطول ايام كانت ضفاف البحر المتوسط للروح الايطالية مهزلاً يحفزها كما كانت الاستانة مهزلاً للروح الصقلية « السلافية » .

ولقد طمعت ايطاليا في كل زمن الى هذا الشاطئ من البحر المتوسط فحملت اولاً القوة والسلام الروماني ولما انحلت عرى هاتين المادتين تحت ضربات البرابرة عادت توجه وجهها الى تلك الوجهة ايضاً لاني الشمال فكان البحر المتوسط ميدان عمل جنوة وبيزا والبندقية وامالني وباري وسالرن ولم يقنع تجارها بان يفتنوا بالتجارة باقشة الهند وفارس وجزيرة العرب وافاويتها ويازيها بل اخذوا يرزانه يودون النفوذ اللاتيني في آسيا الصغرى ومصر والحبشة وكان من انتشار الاسلام وقوته في القرن الثامن ان ضربت هذه الفتوح التي تذكر بفتوح رومية ايام عظمتها ضربة شديدة فاحتقر المسلمون ايطاليا على سمو مدارك ابنائها ومرونة اخلاقهم واغاروا عليها فادخلوا على قلوب اهلهما الهول والفرع فكان الجلال عظيمًا ولئن وفقت ايطاليا الى طرد العرب من صقلية فان نجاح مدنها الساحلية في الجنوب قد تراجع وظلت جنوة وبيزا متأثرتين وعادت البندقية فوجت وجهتها الى آسيا الصغرى .

وكان من الحروب الصليبية ان تهيأت لاطاليا اسباب الانتقام فان هذه الغارات وان كان باباوات رومية هم الذين املتها عقولهم قد بذل فيها العنصر الايطالي بما عرف به من الحبة الممزوجة بقليل من التبجح من حسن السياسة اكثر مما بذل من الشجاعة فافتصر الابطاليون في الحرب الصليبية على مرافقة جيوش اوربا الى آسيا وبينما كان ملوك الامم الاخرى تقيم ممالك صغرى في الارض المقدسة كان الابطاليون يقطعون ثمرات تلك الحملات . وقد ثبت هذا الدماء السياسي الايطالي في الحملة الصليبية الرابعة فانه انتج جنوة وبيزا ان ربحتا كثيرا واستأثرت البندقية بتجارة آسيا الصغرى وامتلاك اراض مخصصة على الشواطئ الشرقية من البحر المتوسط وجزء من الاسنانة . ولما سقطت القسطنطينية في ايدي محمد الثاني سنة ١٤٥٣ حلت دون هذا السير النافع ومع هذا فان البندقية بما اتته من عجائب المهارة وحسن المأق بل بجهادها العلي قد احتكرت جميع تجارة اوربا مع الشرق .

وبهذا الاحتكك غير المنفصل تمت للبندقية على قوتها البحرية والتجارية معرفة الشعوب الاسلامية حتى المعرفة اكثر من كل اوربا وكان من العادة الجارية مع طبقة التجار من ابناءها ان ينكحوا بالتركية والعربية ويالفوا بعض العادات والمصطلحات الشرقية ولكن جاءت قوة في القرون الثلاثة التالية اكثر من قوة البندقية على مالها من الصلات التجارية مع العناصر الاسلامية فزادت عليها لانها روحية تطعم سيف امتلاك العالم ونعني بها « البابوية » .

فان احلام كنيسة رومية قد استطاعت ان تمتد الى الخارج ويكون لها مطالب اعلى من الزنج حتى انها في عهد غارات الجرمانيين كانت تحلم ان تقبض ذات يوم على قياد الوحدة وحب الاستيلاء الذي سقط بسقوط دولة القياصرة فاحسنت صلاتها مع المسيحيين بل ومع الوثنيين في الشرق ممن تطمع في تنصيرهم وادركت كل الادراك الخطر الناشئ من امتداد كلمة الاسلام على اوربا المسيحية . ومع ان الحملات الصليبية قد اخفقت وقوة الايمان قد اثلثت في القائمين بها ما برحت كنيسة رومية الى اوائل القرن السابع عشر تطالب باعمال اخرى وفيه هذا العهد كان الضعف اخذ ينال العثمانيين .

يبد ان رومية شعرت في الحملة الصليبية الثانية ان السيف وحده غير كاف في مثل هذا الجهاد ورأت ان تعارض التعصب الاسلامي بطوائف متماسكين في اتحادهم من

غيوري الاوربيين او الشرقيين لتقطع اوصال المسلمين قطعاً ادياً بعد ان اوقفهم عن سيرهم المادي . وما فتئت رومية منذ القرن الثاني عشر والثالث عشر تحاول تنصير جميع الشعوب الآسيوية التي ظلت على وثنيها فبعثت الى بلاد المسكوب وفارس وارمينية والتاتار والتبت ومغوليا والصين والارخبيل الهندي وفوداً من اهل الذكاء والحصافة ممن خلفوا لنا رجالهم ومذكراتهم اليومية عهدت اليهم ان يسبروا غور امراء تلك البلاد لينسروهم او ليتحالفوا وياهم على الاقل ضد المسلمين . وكان نصيب مصر والحبشة ايضاً البحث عن مثل هذا الشأن .

فلم تلبث الرهبنة العظمى ان انشئت مثل الدومينيكانيين والفرنسيسكانيين واليسوعيين والكوشيين والكرمليين والعاشرين ليكونوا جنداً مخلصاً في خدمة امام الاحبار وتفتح تلك البلاد لدخول النصرانية اليها . فانبث جيش من الرهبان على اختلاف مظاهرم في قارتي آسيا وافريقية الشمالية لافتحا ونشر الانجيل فيها ثم نشر المدنية الغربية فحفظ القائلون بالامر اولاً ولم يهتدوا لاحسن الطرق في العمل فانهاال فرنسيسكانيون والدومينيكانيون يفادون بارواحهم وبصبرون على ضروب العذاب في سبيل دعوة الشعوب الاسلامية في افريقية الشمالية الى الدين المسيحي وكانت الطرق التي عمدوا اليها على تحمس فيها بمزوجة بكثير من الجهل فشرعوا في الحال ان الضرورة تقضي على من يريد دعوة احد الى دينه ان يتكلم بلغته على الاقل ليتفاهم الداعي والمدعو فتأدى القوم من كل مكان بضرورة انشاء مدارس لتعليم اللغات كان رايونندول داعيتها الذي لم ينله تعب ولا نصب .

فقضى مجمع فينا سنة ١٣١١ الذي كان برئاسة اكلتس الخامس ان تؤسس في باريز واكسفورد وبولون وسلامنكة دروس عربية وعبرانية وكلدانية من شأنها تخريج وعاظ واهل جدل اشداء لتنصير المسلمين واليهود وانشأ الفرنسيسكانيون والدومينيكانيون في اديارهم دروساً من هذا القبيل ليعيدوا رهبانهم لنشر الانجيل ومنذ ذلك العهد اصحبت ايطاليا مهد حركة نجحت في المشرقيات واخذوا بنوع خاص بدرسون العبرية للتعلم في فهم اسرار التوراة وتنصير اليهود واللغة العربية لتنصير المسلمين وكان اساتذة العبرية يخرجون يا علم العلماء الربانيين واساتذة العربية كانوا ممن رحلوا الى بلاد اللغة التي اخذوا يدرسونها ويصنعهم بصفه معبدن اناس من المسلمين او من السوربين المواردة ممن كانوا يعلمونهم العربية بالعمل ورأى هؤلاء القسس بحكم الضرورة ان

يفتقلوا من اللغة العامية الى اللغة الفصحى ليستند ساعدهم في فهم المسائل الفلسفية ورد جميع المخالفين بأسلوب فلسفي أدبي .

ومن اجل هذه الغاية اهتموا أيضاً بمصر والحبشة ومن مدارسهم نشأ العلماء الأول من الاقباط والحبش والاعرجين ولكن دراسة اللغة العربية بقيت الحائكة المتحركة في شبه جزيرة ايطاليا فكان ينظر الى تعلمها انه من الحاجات الماسة لكل تجار المدن الجبرية . فقد وضع احدهم سنة ١٢٦٥ باللغة العربية كتاب المعاهدة التجارية بين تونس وجمهورية بيزا وظلت العربية مألوفة في عدة اماكن من ايطاليا الجنوبية عقيب احتلال العرب صقلية فكانت في بلاط ملوك نورمانديا وهو هانستوفين وفرديريك الثاني ودي منفروا لغة العلم العالي والشعر والادب . وما كانت العربية على ما فيها من القسائد المقيمة المتعددة والمواطف المؤثرة لتحمل امثال شارل دانجو على تحمسه لديه ان يخاف عاديته بل كان الاطباء والطبيعيون في قصره امامن الاسرائيليين او من المسلمين المخلفين في عقائدهم وكان الطب هو الجواز الذي سارت به الفلسفة العربية عندما قام جبرارد دي كرمون الشهير في اوائل القرن الثالث عشر في ظل دولة فرديريك الثاني يترجم بعض كتابات ابن سينا الفيلسوف .

وفي القرن الثالث عشر ترجم المعلم موسى من اهل بلرمة من العربية الى اللاتينية كتاب ابقراط في امراض الخيل فاسربت فلسفة ابن رشد من امثال هذه الطرق ولم تلبث ان صادقت قبولاً بين ناشئة ايطاليا حتى شكاً من ذلك جهاراً بترارك في القرن الخامس عشر اذ رأى في تلقف فلسفة ابن رشد دليل الانحدار والازدراء باليونانية واللاتينية . وكثير من الادباء والعلماء من غير طبقة الرهبان كانوا يرون من موجبات الفخر في القرن التالي ان يعرفوا اللغة العربية سائرين على سنة بيك دي لاميراندول

وعلى توفر بعضهم على نشر كتب في الجدل مع المسلمين حتى قبل ان يترجم القرآن باحدى اللغات الغربية فان عشاق العربية كانوا يرون من الحيلة ودواعي الغيرة ان يمينوا انفسهم على ترجمة رسائل في الطب بنقلونها عن العربية اذ لم يكن احد يجمل مكانة العرب في هذا الفن وبذلك يرون انهم يتنجون من الاتهام بالزندقة وقد اصبح اندري اربان في البندقية حجة في هذا الباب واتشاً هو لاء المترجمون بدققون علاوة على ذلك كل التدقيق فيما ينشرون فكان لم اصلوب علمي حقيقي . ولما رأى اندري مونكاجون بلون في القرن الخامس عشر ان تراجم ابن سينا القديمة واطباء بلاط

فريدريك الثاني ليس فيها عناية ذهب يحكم دراسة اللغة العربية في دمشق واتم تعليمه الشرقي بالرحلة في مصر وسورية وفارس وآسيا الصغرى رحلة طويلة وذلك قبل ان يعود الى كلية بادو ليسر - لتلامذته فلسفة ابن سينا - وقصد جبرولا مورانوزيو احد اطباء البندقية بلاد الشام ايضا في سنة ١٤٨٣ ليقتبس في فهم فلسفة ابن سينا ويعلق شروحا على ترجمته عليها .

وكان من سقوط القسطنطينية وهجرة علماء من اليونان الى ايطاليا وكثير من نصارى الشرق واختراع العباغة وقيام الاصلاح ان هبت في ارجاء ايطاليا حركة النهضة العلمية التي تجلت في اجمال مظاهرها في الدروس الشرقية ولاسيما في دروس العربية والاسلام .

كانت الحركة في تعلم المشرقيات عامة وافراية معا انتشرت كل الانتشار بفضل الكردينال فريدريك دي مديسيس في فلورنسا والباباوات في رومية والكردينال بورومو في ميلان والكردينال بارباريكو في بادو ومن تقدمهم مثل بابا غابريال الذي نشر في مدينة البندقية اول طبعة من القرآن باللغة العربية ولكن هذه الطبعة لم تلبث ان ايدت بغيرة دينية خرقاء وكان من الأسقف اغوستينو جويستينياني المشغوف بالدروس الشرقية ولا سيما العربية والعبرية ان قبل من فرنسيس الاول بتدريس اللغة العربية بعد ان صرف ثروته في انتناء مجموعات من المخطوطات المهمة في العبرية والعربية والكلدانية والرومية وكان تيزيو امبروكيو قومس (كوت) البونز مستشرقاً مدمقاً وهكذا كانت ايطاليا كما اولع علماءها باللغة العربية ونشروا روحها قبل كل الميل الى الاقطار التي كان يتكلم فيها . وقد نشر اندريا اريغان من مانتوا اول طبعة ايطالية من القرآن بيد ان كل هذه الاعمال على جلالتها لاتعد شيئاً في جانب انشاء مطبعة أسرة ميديسيس المالكة والمطبعة الشرقية لبث الدعوة ومطبعة بادو وكتبتها واحداث مملكة امبروز في ميلان وكل ذلك بغية تنصير المسلمين والوثنيين . فقد طبعت مطبعة ميديسيس ١٨ الف نسخة من الانجيل باللغة العربية سمته (اربعة اناجيل يسوع المسيح سيدنا المقدسة) وارسلتها مع تجار لتباع بثمن بخس في البلاد العربية او التي نفهم بها العربية على صورة حازمة لا يظهر منها المقصد الذي يرمي اليه دعاة الدين .

وكانت النية معقودة قبل كل شيء على اعلان حرب صليبية جديدة رومية على الاسلام يدخل اليها بالوسائل العلمية وعني الباباوات الابداء امثال ليون العاشر واكليمينتس السابع

عناية خاصة بتأسيس خزائن كتب من المخطوطات تسلب من المسلمين الاعداء القدماء لتكون من ذلك مجموعات نفيسة في دار كتب الفاتيكان اما غريغور يوس الثالث عشر فكان لا يرى احسن في النجاح من تنصير الناس وابادتهم وانشأ يوليوس الثاني في مدينة فانو على بحر الادرياتيك اول مطبعة عربية احتفل ليون العائش بافتتاحها سنة ١٥١٤ بنشرها اول كتاب طبع بحروف عربية وهو كتاب « صلاة السواعي » . وكان في رومية مطبعة حجرية شرقية انشأها سافاري دي بريف الذي ظل سنين طويلة سفيراً لملك فرنسا في القسطنطينية وهو نفسه الذي حفر أمهات الحروف العربية التي نقلت عنها مطبعة الامة في باريز اشكالها . ونشر منذ سنة ١٦١٣ كتاب التعليم المسيحي . وظل الكردينال فرديناند دي ميديسيس متمماً لذوق أسرته في حب المعارف الشرقية فابتاع مخطوطات شرقية باسم البابا وكاث يدير بطريركيات انطاكية والاسكندرية ومملكة الحبشة ادارة روحية وانشأ على نفقته مطبعة ميديسيس وولى عليها ريموندي الذي ولد سنة ١٥٣٦ في نابولي وهي اكثر البلاد التي كانت العربية منتشرة فيها . فكان باللغات الشرقية التي يتقنها ولا سيما العربية قدوة الداعين الى تعلم المشرقيات ونشر بالعربية كتاب نحو وكتب ابن سينا وغيرها فكانت مطبوعاته بحسن طبعها ووضعها موضوع الاعجاب العام وبعد ان قضى ريموندي نجه لم تعد أسرة ميديسيس تفكر في اعلان الحرب الروحية على المسلمين بواسطة الكتب بل عمدت الى احداث الاضطرابات العملية .

ولم تشأ رومية ان تكون في خدمة المعارف الشرقية بالمطابع والمكاتب والمدارس دون أسرة ميديسيس في بث هذه الدعوة لتنتشر بها الدعوة للاسلام فقد صارت بفضل الباباوات ميدان درس ونشر كل ما يرقى عقول القسيسين الذين تنتدبهم رومية لفتح العالم فتحاً روحياً يتخرجون في المدارس ما امكن بلسان البلاد وعاداتها ومعتقداتها التي يريدون بث دعوتهم فيها ودار الكتب نتم لم هذه المعلومات فيعثرون فيها على ماسطره اسلافهم في رحلاتهم الى البلاد التي عدوا بتنصير اهلها وما تلقفوه من معتقداتهم وعاداتهم ولهجاتهم وصناعاتهم ويقضى على كل قسيس ان يكتب بعد مقامه في القاصية كتابة او رسالة تخدم هذا الغرض . ومطبعة بث الدعوة لنشر كل ما يؤلف من هذا القبيل وتترجم الى لغات شرقية كثيرة الكتب المسيحية والردود على الاسلام وكان للغة العربية الشأن الاول من بين هذه اللغات التي تطبع فيها المطبعة وهي عشرون لغة شرقية

وما كان القصد من هذه العناية الا دينياً محضاً باديء بدء ولم يكن العلم الشرقي الا واسطة تساعد على علم الجدل وكذلك اللغة العربية لم تكن الا سلاحاً يقاتل به الاسلام ولذلك كانت المدرسة الاكليريكية الشرقية في بادئ ولاترى غضاضة عليها ان تشتغل بالعلم المجرد احياناً الاثر الذي يحدث عنه وكانت المطبعة والمكاتب الشرقية من المميزات لتلك المدرسة لدهابها بفضل الشهرة وتأثيرها في الافكار .

وقد تخرج بالامتازين مراسمي واغاييتو عدة من التلامذة باللغة العربية فصنفوا فيها وافادوا وتعاقب اثنان من الكرادلة على ابرشية بادوكان كل منهما يتنافس في عصره في خدمة الدروس الشرقية . وهذا كان شأن ميلان فان فريديريك بورومة بث فيها روح العلوم الشرقية وبعث منذ سنة ١٦٠٦ الى الشرق ببتاع بالاثمان الباهظة كتباً ومخطوطات مشرقية فأسس المكتبة الامبروزية الشهيرة ولم يكثر تلامذة المدرسة التي أسسها لهذا الغرض بل كانوا قلائل امتازوا باخصائهم وكان ثمة اسانذة خاصة من مسيحي الشرق او المسلمين المحدثين ولطالما عطف عليهم ونشطهم وتخرج في مدرسة امبرواز انطونيوجيجي باللغة العربية فكان لها مجداً اثيلاً .

عد القرنان السادس عشر والسابع عشر عصر ازدهار الدروس الشرقية ولا سيما اللغة العربية في ايطاليا اما القرن الثامن عشر فكان عصر الانحطاط التام اذ قلت فيه حتى الغيرة الدينية والحماسة العقلية ولم ينشأ فيه سوى الكردينال ميزوفاني الخارفة في اثنان اللغات المتوعة فكان مفخراً للعلم الايطالي وقد تقادم جمهور الشعب اقبال ومالوك مترسطون صار معهم الى الشقاء والعبودية اما الطبقة العالية فقد حرمت من الاشتراك في ادارة شؤون بلادها بنهكها الاستبداد المدقق واضطهاد النخسا الشديد فسيت في لذائذها المادية حريتها وعلا منزلتها العقلية .

وفي سنة ١٦٩٠ احترقت مطبعة ميديسيس ثم اعيد اشاؤها وبعد ان ثقلت عليها الاحوال وتقلت الى باريز بامر الامبراطور نابليون أعيدت الى ايطاليا وفيها طبع اعظم مستشرقين الطليان امثال اماري وسكيا پارلي وكويدي كشيهم وما نشرهم من آثار العرب ، ولما فتح نابليون مصر واعلن للمسلمين بانه يراعي معتقداتهم وحقوقهم وانه لا أرب له الا قتال المالك احلاف انكثروا رأى ان يستولي على قلوب المصريين فظهر لهم بمظهر الحياد وحسن الخدمة وبعث يجلب ملتبة لبث الدعوة الشرقية من ايطاليا فأتته الى مصر واخذ يطبع بها الكتب خدمة للسياسة والتجارة .

فأصبحت من ثم المطابع الشرقية في ايطاليا بضربات السياسة والحوادث وبقيت المدرسة الاكليريكية وخزائن كتبها في بادو بمنزل وعلى ما عرف به المستشرق العالم بالعربية اسماني من سعة الفضل فانه لم يتيسر لبلاده ان تعيد الحياة للمشرقيات بعد انطفأت جذوتها بالفتن والكوائن واقتراض بيت ميدبيس . ونشأ للعربية استاذ في القرن الثامن وهو القس فلادرس في كلية بلزمة . واشتر بعض الكتب ولكن القرن التاسع عشر امتاز بأدابه كما امتاز بالحياة في ايطاليا التي هبت قوية حرة وراحت تفرغ نحو كل ما كان فيه مجد . ايام تاريخها الجيد فازهرت فيه الدروس الشرقية ولاسيما الدروس العربية والعلوم الاسلامية . فكانت الولايات الجنوبية في ايطاليا تخرج ابطالا في المشرقيات امثال المؤرخ والسياسي ميشل اماري الذي نشر احسن تاريخ للمسلمين في صقلية وكثيراً من الكتب التي تدل على فضل علم وتدقيق . ودروس العربية في كليتي فلورنسا وبيزا ونشأ معه الاستاذ سكيلا پارلي مدرس العربية في فلورنسا ثم بونازيا مدرس كلية نابولي واغناس كويدي الذي هو اليوم احد الزعماء المجددين من علماء المشرقيات من الطائفة . وهكذا نشأ لايطاليا اجلة من المثبرين في علوم الشرق ولغاته وامراء يفصلون على الملأ في طبع ما يلزم ونشره . وكان امتياز ايطاليا قديماً بنشر المعارف في كل البلاد فاصبحت كذلك في عهد وحدتها تريد ان تجعل لكل اقليم حظاً من هذه الخدمة ولم تلبث صعوبة الحياة الحديثة والاطلاع القديمة التي يظهر انها اليوم العامل في حياة الممالك الاوربية ان تحدد ايطاليا السياسية الى الانتفاع من هذه المعارف النظرية انتفاعاً عملياً . ولما تمت لايطاليا وحدتها لم تولها نصيباً من المغنم في ارض اوربا فوجهت وجهتها منذ ثلاثين سنة الى ان تضع يدها على ما لم يكتب له الاستعمار الاوربي من حوض البحر المتوسط فرأت اولاً ان تبعث بالفقراء من ابنائها في صقلية ومردنيا الى تونس اذ قدرأت فرنسا قبضت على قباد الجزائر واسبانيا على الريف وانكثرتا على مصر ولكن سرعان ما اخفقت احلامها باعلان فرنسا حمايتها على تونس سنة ١٨٨١ فبقيت امامها طرابلس الغرب ولكنها لم تجرأ ان تحلم بها ولذلك ابدت في اطماعها يادي بدء فارادت الاستئثار ببلاد الشامي الشرقي من افريقية فكان فيها رسولها وعلاؤها دعاة لما تريد ايطاليا القيام به .

واذ كانت مصر على قربها من ايطاليا وغناها وعراقتها في الاسلام مما يكون منه

الخطر كانت هي أول غاية انصرفت اليها كهنة الطليان وتجارهم وكانت ايطاليا منذ القرن السادس عشر مركزاً لتعلم الآداب القبطية وقد انشأت تعلم علم الآثار المصرية والقبطية في بيزا لتثبت بذلك انها لا تريد ان تكون غريبة عن علم كانت لها القدم الراسخة قديماً في الابداع فيه وكانت للغة الحبشية المقام الاول في ايطاليا لانها رأتها اقرب الي بث الدعوة في تساطرة الحبش وان التجارة تمكن بدون ان يصطدم الايطالي مع الاسلام الذي لا يساهل .

وفي اوائل القرن التاسع عشر انشأت ايطاليا مجعاً ومدرسة لتنصير الافريقيين وتعليم دعاة لهذا الغرض تأخذهم من ابناء تلك البلاد وتربيتهم ليعودوا الى مساقط رؤوسهم يحبون فيها روح دينهم الجديدة ولكن هذا العمل في التنصير اخفق لما حال امامه في كل مكان من بث دعوة الاسلام ونشر الدعوة البرتستانتيية فاقصرت ايطاليا من ثم على غرس نفوذها في تلك البلاد واعداد الاسباب للمطامع الاستعمارية .

فكانت سياسة ايطاليا حازمة محتشمة اولاً في سنة ١٨٦٩ عند ما فحمت ترعة السويس ابتاعت شركة الملاحة الايطالية روباتينو من زعيمين مستقلين مرفأ اسباب بالقرب من جزيرة بريم على الشاطئ الافريقي من البحر الاحمر فجعلته محطة لسفنها الذاهبة الى الشرق الاقصى ولما خاب ظن ايطاليا في الاستيلاء على تونس ابتاعت من هذه الشركة سنة ١٨٨٢ جميع ممتلكات في تلك الارزاء يبلغ ٤١٠ آلاف فرنك فكنزتها كثيراً وارسلت حملة لتأديب قبائلها المجاورة مثل الدناكل والصومال من المسلمين فذبحوا لها رجالها سنة ١٨٩٤ وعادت فبعثت بحملة الى مصوع وبعثت انكثرتا جيشاً الى البحر الاحمر للدفاع عن سواكن ومصوع من عصاة السودان واقترحت على ايطاليا ان تكون الحملة مشتركة على ان تكون مصوع لايطاليا ويحتي لها بسط سلطانها على الحبشة فبادرت الى احتلال مصوع وتيسر لايطاليا باعمال حربية قليلة ان تقضم ارضها الى ارض اساب .

ولكن بسط حمايتها على الحبشة نشأت عنه كارثة غير متوقعة وذلك بان جيوشها ما كانت تصل الى البحر الاحمر حتى تحالف امراء الحبشة وجعلوا نجاشيهم جوهانس امبراطوراً عليهم فقتل هذا حملة للطليان مؤلفة من ستائة شخص عن بكرة ابيها سنة ١٨٨٧ فارسلت ايطاليا عشرين الف رجل فلم يكادوا ينزلون الى البر حتى فتك فيهم الجوع والحصار ودمهم ثمانون الفا من الحبشان فانهمزمت ايطاليا شر هزيمة في سكانتي

(١٨٨٨) ثم استألت اليها النجاشي منليك واعدة اياه بان يكون هو امبراطور الحبشة دون جوهانس ولكن لم يقدر بامانها بل رد الايطاليين رد الابطال عن حياض بلاده فذبح سنة ١٨٩٥ اناس من المستعمرين الايطاليين في امبا الاكخي وبعد بضعة اشهر سقطت الحبشة لايطاليا جيئاً مؤلفاً من خمسة وصعين الف ابناي في ادوا فاضمحت آمال ايطاليا بعد ذلك وقنعت بما ترك لها من الموافي هناك وراح ابناؤها ينتشرون في تونس ومصر وعلما المشرقيات المتضلعين من العربية من ابناؤها يرفعون شأنها الماضي في الحضارة وثقافتها القديمة في النصرانية .

وانفق ان احد رجال البيت الخديوي الامير احمد فواد باشا تعلم في المجمع العلمي العسكري في تورينو فكان منه بعد ذلك ان عقد انفع الصلات مع ايطاليا كما بدأ ذلك منه سنة ١٩٠٨ وقد عين رئيساً للجامعة المصرية لتعلم العلوم الحديثة للمصريين ونظم الجامعة بمشورة عالم فرانسوي مشهور الميوس ميسرو وكانت أكثر الدروس تلتقى بالربية فكان من الاساتذة كويدي ونالينو ومالو الايطاليين الذين درسوا الدروس التي عهدت اليهم بالربية .

ومنذ ذاك العهد مالت الافكار في ايطاليا الى طرابلس الغرب لتكون لها اهراء حنطة كما كانت للرومان قديماً وذلك لانها بصرف المال وبذل الوقت والعناية بزراعتها سيكون منها مورد ربح عظيم وتجد فيها اليد العاملة من الطليان مجالاً واسعاً للاستعمار فرائت ايطاليا ان يكون الفتح الاستعماري مشغولاً بالزحف والرحمة والتساهل في معاملة الشعوب الاسلامية وان يكون اساس الاستعمار في تلك الاقطار المصالح الاقتصادية وان تدار البلاد بايدي اعظم رجال الادارة ممن تتعلم منهم وزارات المستعمرات الاوربية دروساً في الاستعمار .

واخذت ايطاليا بتنظيم كلية بادو التي كانت اتخذتها جمهورية البندقية منذ قرنين مدرسة لتخرج رجال سياستها وتراجعتها وسماستها تدرس فيها العربية والفارسية والتركية ولاسيا العربية وستعنى هذه المرة بالعربية أكثر ليكون من مخرجيها اعظم الادار بين المستعمرين لليبيا وتضاف الى دروسها اللهجات البلقانية المتنوعة من تنجر معهم البندقية وايطاليا . ولمدينة جنوة درس عربي طلباً تناوب تدريسه اعظم مستشرقها وهي اليوم تطلب بان يكون لها امتياز بتخرج رجال الادارة والاستعمار بانشاء كلية بحرية استعمارية فيها وكذلك سيكون من كلية بولون اثر عظيم في تخرج

رجال بالعربية كما لها منهم حظ ليس بقليل الآن . وفي رومية في مدرسة الدعوة الى
الايمان درسان للعربية والسريانية وكذلك مدرسة القديس ابولينير فان درس العربية
يدرسه فيها الاسقف بوغاريتي وتفتخر كلية الحكومة اللادينية في رومية بان فيها
درسا للغة العربية وادابها بزعامة الاستاذ سكياباريللي والخبشية تحت نظارة كويدي .
وفي جنوب شبه جزيرة ايطاليا المملوءة بتذكارات اسلامية والقريب من حيث الوضع
الجغرافي من بلاد المسلمين كلية بلومة التي يدرس العربية فيها كل من الاستاذين
ناليثو وبوونازا واقتصرت نابولي على تعليم العربية بالعمل كما تعلم بالنظر ايضا . وفي
نابولي مجمع شرقي يعلم بالعمل اللغات الحية في آسيا وافريقية وفيه تلامذة صينيون
وهنود وبلغاريون وصربيون وفلاحيون والبانينيون وبنون . وفي سنة ١٩٠١ اعيد
تنظيم هذا المجمع على مثال مدرسة اللغات الشرقية في باريز ويمتاز بان دروسه مجانية
ولا يمتحن الطلاب فيه

لا جرم ان فتح طرابلس الغرب سيزيد في نجاح هذه المدرسة فيكون لايطاليا الحظ
بان تكون دولة تقيا فيها المدنيات الشرقية في البحر المتوسط على ما يبدو الآن لاعين
الشعوب الاسلامية النازلة في حوض البحر المتوسط من ان هذه الدولة حديثة العهد
بنفوذها بما ترسله من فقراء المستعمرين والعاملين القادرين على منافسة اليد العاملة
الوطنية اه

كليات المانيا

الكليات او الجامعات او دور الفنون في المانيا هي المدارس العالية المحتوية على
الفروع الآتية : الاولى شعبة الآليات ، الثانية شعبة الحقوق ، الثالثة شعبة الطب ،
الرابعة شعبة الفلسفة (وهذه اربعة فروع (١) الفلسفة المجردة وعلم التربية والمنطق (٢)
علم الالسن والادبيات (٣) التاريخ والجغرافيا وتاريخ الصنائع والموسيقى (٤) السياسات
وعلم الاقتصاد (الخامسة شعبة الرياضيات والطبيعيات) وهي الرياضيات وعلم الفلك
والحكمة الطبيعية والكيمياء والحيوانات والنباتات وطبقات الارض) . فعدد كليات
المانيا اثنتان وعشرون . نصفها في بروسيا والنصف الثاني في سائر الحكومات المتحدة
وهالك اسماء المدن الموجودة بهما مع تاريخ تأسيسها وعدد طلابها في نصف السنة
التدريسية الشتائية من سنة ١٩١١

الكليات	عدد الطلاب	تاريخ التأسيس
برلين (بروسيا)	١٤٥٤٣	١٨٠٩
مونينج (بافيرا)	٠٧٥٩٦	١٤٧٢
ليبسيك (سكسونيا)	٠٥٨٠٤	١٤٠٩
بون (بروسيا)	٠٤١٠٧	١٨١٨
هاله (بروسيا)	٠٢٨١١	١٥٠٢
استراسبورغ (الزاس لورين)	٠٢٥٠٦	١٥٦٧
برسلاو (بروسيا)	٠٢٤٢٩	١٧٠٢
فرايبورغ (بادن)	٠٢٣٨٧	١٤٥٧
غوتنغن (بروسيا)	٠٢٣٥٥	١٧٣٧
مونستر (بروسيا)	٠٢٢٩٦	١٧٧١
هايدلبرغ (بادن)	٠٢١٨١	١٣٨٦
ماربورغ (بروسيا)	٠١٩٣٦	١٥٢٧
توبينجن «ورتمبرغ»	٠١٩١٣	١٤٧٧
بيننا «ساكس وایمار»	٠١٧٥٣	١٥٥٨
كنفسبرغ «بروسيا»	٠١٦١٤	١٥٤٤
كيل «بروسيا»	٠١٥٧٠	١٦٦٥
ورتسبورغ «بافيرا»	٠١٥٠٩	١٤٠٢
كيش «هس»	٠١٤٠٩	١٦٠٧
ارلانكن «بافيرا»	٠١٠٩٩	١٧٤٣
كرايفسوالد «بروسيا»	٠١٠٣٤	١٤٥٦
روشتوك «مكلنبورغ»	٠٠٩٠٣	١٤١٩
فرانكفورت على ماين «بروسيا»	جديدة	١٩١٣
المجموع	٦٣٧٥٥	=

ومن هذا المجموع ٥٠٠٠ طالبة تقريباً . وعدا ذلك فان في غالب المدن مدارس عالية عملية ، هندسية ، زراعية ، صناعية ، تجارية ، حرية ومراسد فلكية ودور معلمين ومعلمات .

الحنطة في فرنسا

قالت الماتين : ان أكثر ارم الارض مقطوعية للحنطة هي الامة الفرنسية ثم ابدت قولها بالاحصاء التالي وهو احصاء سنة ١٩٠٩ الذي يمكن اعتباره متوسط كمية الحنطة التي تناولتها مقطوعية ١٩٠٩

مقطوعيتها	(الف قنطار)	المقطوعية الفردية
فرنسا	٩٨٤٣٢	٢٤٥
المانيا	٥٧٦١٣	٠٤٩
النمسا والمجر	٥٧١٢٠	١٤١
اسبانيا	٤٠١٦٧	٢٤١
الجزر البريطانية	٧٣٩٤٤	١٤٧
إيطاليا	٦٤٤٤٨	١٤٩
روسيا	١٧٨٤٠٠	١٤١
(اوربا وآسيا)		
الولايات المتحدة	١٤٩٠٠٥	١٤٦

فيقبن مما تقدم ان المقطوعية الشخصية هي في فرنسا أكثر منها في سواها . وان في الاشاعات المتداولة على السنة الناس في الخارج ان الفرنسيين يكثرون من اكل الحنطة والصفادع شيئاً صحيحاً اي ان احد قسمي الخبر صحيح اما الثاني تخرافة ثم اذا اعتبرت المقطوعية من الوجهة العامة كان الفرنسيون بعد روسيا التاسعة الاطراف والولايات المتحدة العجيبة في طليعة سائر الامم في المقطوعية . وان في الجدول الآنف دلالة على مقدار مقطوعية كل شعب من الحنطة . بقي ان نعلم كيف تنحوط كل امة لاملأ اهرائها التي تفرغ في كل عام . على انه لا بد من التمييز بين البلاد التي تزيد مقطوعيتها من الحنطة عن حاصلاتها والتي تزيد حاصلاتها الخاصة عن مقطوعيتها فمن الفئة الاولى

حاصلاتها	(الف قنطار)	الفرق
المانيا	٣٧٥٥٧	٢٠٠٥٦
النمسا والمجر	٤٩٩٣٦	٧١٨٤

حاصلاتها	(الف قنطار)	الفرق
انكلترا	١٧٤٨٦	٥٦٤٥٨
ايطاليا	٥١٨١٣	١٣٦٣٥

فاعظم البلاد استيراداً للحنطة هي انكلترا ثم المانيا حليفتها . اما فرنسا واسبانيا فان محصولها من الحنطة يعادل على نوع ما مقطوعيتها . ويان ذلك

حاصلات	الف قنطار	الفرق
فرنسا	٩٧٧٥٣	٦٨٠
اسبانيا	٣٩٣١٩	٩٤٨

اما البلاد التي تزيد حاصلاتها عن مقطوعيتها فروسيا وحدها في اوروبا ثم رومانيا . اما البلاد الاخرى فكلها واقعة وراء البحار . ويان ذلك

الحاصلات	المقطوعة
روسيا	١٧٨٤٠٠
رومانيا	٧٠٤٠
الولايات المتحدة	١٤٩٠٠٥
كندا	٣٠٠٥١
الهند الانكليزية	٦٦٤٨٧
اوستراليا	١٤١٣٧
الارجنتين	٨٨٤٨
	٣٥٦٥٥

ولهذه الارقام من الوجهة السياسية مكانة عظيى فالجزر البريطانية تستطيع ان تستمد من مستعمراتها ثلاثة ارباع ما ينقصها لمقطوعيتها . وان ما نقوله هنا عن الحنطة ليصح ايضاً في اللحوم وسائر الحبوب الغذائية . فالقوة البحرية الانكليزية الضخمة تضمن ورود الاقوات اليها بانتظام وهي مسألة حيوية بالنسبة اليها لانه اذا استطاع العدو ان يمنع عنها الاقوات اللازمة هلكت بالمجاعة . ومثل ذلك يقال في دول التحالف الثلاثي فهي لا تقوم لها بدون وصول المؤونة اللازمة لها من الخارج . واهم البلاد التي تستورد منها روسيا وهي عدوتها . فاذا امسكت عنها الحنطة في ابان الحرب وكانت لها (اي روسيا) بحرية قوية هلكت امم العالم الثلاثي جوعاً . وان هذه الحاجة حاجة استيراد المؤن من الخارج لتزيد علماً فعاماً بسبب ازدياد الناس في اوروبا في

الآونة الاخيرة وتجد البرهان على ذلك المقارنة الآتية :

الكمية المستوردة (الف قنطار)

١٩٠٩	١٨٨١
٣٠٠٥٦	٣٠٨٥ المانيا
٧١٨٤	٤١٣ النمسا والمجر
٥٦٤٥٨	٣٥٥٢٠ انكلترا
١٢٦٠٥	٤٨٥ ايطاليا

أما فرنسا التي ما كانت قط تستورد كميات كبيرة فقد استوردت في سنة ١٨٨١ اثني عشر مليوناً و ٨٦٤ الف قنطار اي أكثر مما استوردته دول التحالف الثلاثي بثلاث مرات . وسبب ذلك ان سكان المانيا كانوا في ذلك العهد ٤٤ مليوناً مقابل ٦٤ مليوناً في ١٩٠٩ و ٦٧ مليوناً اليوم . وكانت النمسا ٣٨ مليوناً وهي اليوم ٥٣ مليوناً . وان ازدياد عدد السكان في اوربا كلها ليضطررها ان تستورد حاجتها من الحنطة من الخارج . وهذا الاضطرار يقضي بوجوب الاعتماد على عمارة تجارية كبيرة واسطول حربي ضخم .

اموال الفرنسيس

لفرنسا وحدها في القروض التي عقدتها الدولة منذ سنة ١٨٥٥ الى الآن مبلغ ٨٤٦ مليون فرنك يضاف اليها ما لها من الاموال في المشاريع الآتية :

مليون فرنك

٦٣	في البنك العثماني
٧١	سكة حديد ازمير
١٨	القدس ويافا
١٢١	دمشق حماه
١٢٧	سلانيك
٣٩	معدن هركلي
١١	مرفأ ازمير
١٤	بيروت

مليون فرنك

٣٧

• • الاستانة

١٧

• مياه الاستانة

١٦

• شركة حصر الدخان

يكون المجموع ملياراً و ٣٧٠ مليون فرنك يضاف اليها الديون غير المنتظمة وهي :

فرنك

٣٨٦٠٠٠٠٠٠

الديون الموحدة العثمانية

١١٦٤٠٠٠٠٠٠

نحو يلات الروملي

٧٥٠٠٠٠٠٠

ديون اخرى

٧٦٠٠٠٠٠٠٠

سلفات متفرقة

٣٠٠٠٠٠٠٠٠ | ٢٠
١٠٠ | ١٥

هذا عدا عن الاموال المستثمرة في بعض المشاريع الثانوية وهي كثيرة ايضاً فاذا اضفنا اليها سائر الديون العثمانية بلغ المجموع نحو ثلاثة مليارات من الفرنكات تزيد فائدتها ٢٥ في المئة من مجموع دخل الدولة كله ويضاف الى ذلك القرض الاخير وهو ٧٠٠ مليون فرنك .

طلابنا في فرنسا

الغالب ان معظم من يدرسون العلوم من ابناء العثمانيين في كليات اوربا ينزلون فرنسا ويختارون من كلياتها كلية باريز وكلية ليون فكرونبول فونبيلية فناندي ثم يكون من طلبتنا اناس في كليات المانيا فانككترا فالنسا .

وقد ذكرت الامان احصاء في عدد طلاب الكليات في فرنسا جاء فيه ان عدد طلاب الكليات في فرنسا ٤١١٠٩ طلاب وطالبات منها ٤٠٥٦ من الفتيات والباقي ذكور اي ان نحو عشرين الداخلين في المدارس الجامعة هن من الجنس اللطيف وبلغ عدد الاجانب من الطلبة ٣٨١٩ اي نحو عشرة في المئة من مجموع الطلبة و ٤٠٥٦ طالبة فيكون مجموع الطالبين والطالبات من غير الفرنسيين في كليات فرنسا ٧٨٧٥ من اصل ٤١١٠٩

واكثر الطلبة الاجانب يدرسون الحقوق ويأتون من الشرق فقد بلغ عدد طلبة رومانيا ٢٥٧ والروس ٢٤٣ والمصريين ١٦٣ والعثمانيين ١٢٤ اي نحو ثلثي عدد الاجانب ثم ٨٣ بلغاريا و٣٦ المانيا و٢٨ يونانيا و٢٧ صربيا و٢٥ نمساويا مجريا و٣٣ لوكسمبرغيا و٢١ اميركانيا جنوياً و١٧ سويسريا وثلثا الطلبة الاجانب في الطب هم من الروس الذين يبلغ عدد ابنائهم ٨٦١ ثم يمجى العثمانيون وعددهم ٨٧ والبلغار ٦٧ والرومان ٥٩ واليونان ٣٩ والذين يدرسون العلوم من الروس ٩٥٠ ومن العثمانيين ٧٠ اما عدد الدارسين في الآداب فهم ٧٠٩ من الروس و٣٣٣ من الالمات و١٤١ من الانكليز و٧٠ من الطليان فيكون مجموع طلبة الاجانب في كليات فرنسا كما يلي : ٢٧٦٩ روسيا ٤٠٨ رومانيين و٣٢٣ عثمانيين و٢٨٩ المانيا و٢٢٣ بلغاريا و٢١٤ مصرى و١٩٠ انكليزيا و١٥٤ نمساويا مجريا و١٣٠ ايطاليا و١٠٦ من الولايات المتحدة و١٠٦ من اليونان و٢٨ سويسريا و٨١ من اميركا الجنوبية و٥٢ صربيا و٥٢ افريقيا و٤٧ لوكسمبرغيا و٤٠ اسبانيا و٣٦ من الازراس واللورين و٣١ سويديا ونروجيا و٢٧ بلجيكية و٣٦ من اميركا الوسطى و٢٥ ايرانيا و٢٣ برازيليا و١٩ برتغاليا .

تربية النساء

بيننا نحن مع قومنا في اول درجة من سلم الارتقاء ولما لم نصعدها اذا بنساء الغرب قد بلغن شوطاً في التعلم لا يكاد يصدقه شرقي فقد ثاقن الرجال في التعليم والتهديب حتى كدن يفقنهم وبالغن في انهاض بنات جنسهن حتى تطاولن في بعض الممالك الى المطالبة باشرأكن في الحياة السياسية فنلن في فنلندا ونروج واوستراليا والولايات المتحدة الاميركية ما اعلن في هذا الشأن ولا يمضى زمن طويل حتى بنال نساء بريطانيا العظمى حقوقهن في الانتخاب كما نال سكان تلك الممالك الاربع المذكورة وهن يحاولن في فرنسا ان يكاثرن الرجال في الجامع العلمية فيكون منهن اعضاء في اكبر مجالس العلم في باريز وعمالاتها

وان الباحث ليمل اذا اراد نقل بعض مايكتب النساء الغربيات من المقالات والابحاث ويلقن من المحاضرات والخطب في هذا الشأن وفيهن مديرة المدرسة العالية والمحامية والصحافية والطبيبة والعالمة بالطبعة والفلك والكيمياء والهندسة والمعلمة وآخر ما قر عليه قرار العالمت من النساء في انكثرا ان بين الرجل والمرأة اختلافاً اساسياً هو

في المرأة بالنسبة للرجل صعوبة الحياة وطولها وطول سلسلة مصائبها وقوتها على مقاومة الامراض وندرة نبوغها وبعض ما اختصت به من الماهات كالجنون والجرائم . وهن يحاولن «تلك ان تربي المرأة تربية لناهل بها للكسب وتصبح صالحة للقيام بوظيفة الامومة على ما يجب

قال اميل فاكي : كانت المرأة لاول عهدا دابة ثم حيوانا داجنا ثم رقيقة ثم خادمة ثم قاصرة وحايي اليوم تحاول ان تثبت رشدتها وتسجله في سجلات القانون . ولقد صح ان النساء النبيلات وبنات الطبقة الثانية في الناس كن في القرون الوسطى يشاركن في الحياة البلدية ويدخلن المجالس فقد قادت جان دارك الجيوش وارسلت كاترين دي سين في القرن الرابع عشر سفيرة الى افنيون الى حضرة البابا وحكمت مرغريتا دو جنة ساقوا بلاد القاع على عهد ابن اخيها شارل الخامس وكثيرات من الاميرات في ذلك العهد تولين الاحكام وتعاطين التجارة والادارة ومنهن من علمن في كليات ايطاليا واسبانيا

ولما جاء القرن الخامس عشر والسادس عشر انقلب الامر فكان من نتائج الاصلاح الديني ان اتجهت الافكار نحو احياء العبرانية ومصطلحاتها كما كان من نتائج النهضة الاتجاه صوب الازواضع اليونانية بيد ان التعليم الذي كان لا بأس به ويلقنه الفتيات في الاديان قد حرم من منه بعد اقفالها

فالتربية التي حيل دون النساء خلال ثلاثة قرون الاخذ بها في الغرب قد بدأت يترينها فانتهج ذلك تلك الحركة الادبية الباهرة في القرن الثامن عشر في فرنسا وبريطانيا العظمى وما كان عزوف نساء اسبانيا عن الاختلاط واعتزالهن اعتزال الشرقيات في خدورهن وجهلن الاسباب انخطاط امتهن

يجب ان يصبح النساء امهات قبل كل شيء ولهذا وجب عليهن ان يقوين مدار كهن وبنرن عتولهن . اميزات الرجل وميزات المرأة متم بعضها للآخر وهي ضرورية لارتقاء المجتمع الارثقاء الذي نخيله للمستقبل وكل تغيير يحدث في تربية المرأة وفي قبولها في الاعمال الخاصة اليوم بالرجال يجب ان يجري على فكر علمي وعلى طريقة التجربة وباحتراز واحتياط وان يلاحظ فيها الاخلاق الفطرية في المرأة ويميز بينها وبين الصفات الثانوية الخ .

هذا ما حكم به العلامة المشار اليه على المرأة وهو الحكم المعتدل المعقول اما نحن فعلى رأيه نجب ان نكون المرأة اما قبل كل شيء ولكن اما مهذبة التهذيب الراقي في الجملة

تحفف عن الرجل سناؤه وتنشل هذا المجتمع من سقوطه فتأثير المتعلمة الواحدة أكثر من ألف جاهلة وأنا موقنون بأن ارتفاع المرأة البلغارية واليونانية والصربية كان أعظم باعث لارتفاع تلك الامم والظفر بنا في مواقع الدفاع عن دمارنا وديارنا لاجودة سلاحهم وكثرة نصراتهم اما نحن فقد حرمتنا التربية البيتية كما حرمتنا التربية المدرسية الحقيقية وهذا جماع الخطأنا . نريد لنساء الاسلام التعليم الابتدائي الراقى الآن ثم ترتقي درجته

معادن القطري المصري

انشأ المسترجون واس المنفى الاول في مصلحة المعادن المصرية سابقاً مقالة شائقة عن المعادن في هذا القطر قال فيها :

اختلف الناس في مسألة التعدين في القطر المصري في السنوات العشر الماضية وتضاربت آراؤهم فيها فوضعها بعضهم موضع الهزء والسخرية واحلها آخرون محلاً رفيعاً من الاهتمام ولا سيما الذين جالوا في هذا القطر وجابوا صحاريه وتمكنوا من مشاهدة الاعمال التي عملها القدماء لاستخراج الذهب والنحاس والحجارة الكريمة والتنقيب فيها . فالحصون القديمة والآبار والمخاطات التي لا تزال آثارها ماثلة الى اليوم تشهد على مابلغته مصر من حسن النظام في عهد حكامها الاقدمين وكذلك اتساع بعض المناجم القديمة والطرق التي كانت تستخرج بها المعادن لا تترك مجالاً لخص المتخرصين ولكن الناس في ايماننا هذه لا ينظرون الى الشيء من الجهة الخيالية بل ينظرون اليه من الوجهة المادية او الربح الذي يعود عليهم منه . فهل المعادن التي في مصر كافية لان تكفل الربح للذين يستخرجونها والفائدة للقطر المصري ؟

ومن رأيي ان المعادن موجودة في مصر بكميات وافرة تعود على القطر بفائدة اقتصادية كبيرة ولكن بشرط ان تعير الحكومة المصرية هذه المسألة الاهتمام اللازم وان تشجع رواد التعدين في بلادها وتحسن شروط الامتيازات المانسة وتحمي مصالح اصحابها أكثر مما تحميها الآن . ولا يعني المقام في هذه العجالة ان يبحث في مسألة التعدين بحثاً مستفيضاً فاحصر كلامي لذلك في المعادن التالية وهي اهم المعادن التي في مصر

الذهب — في الصحراء الشرقية كثير من المناجم القديمة وبعضها كبير جداً ولكن ظهر من الابحاث التي اجريت فيها ان استئناف العمل فيها على نط عظيم لا يعود بربح يذكر على الشركة او الشركات التي تقوم به الا انه يستدل من العروق الغنية التي

في تلك المناجم ان استئناف العمل فيها قد يعود بالريح على الشركات الصغيرة او المعدنين الذين يملكون رأس مال كان للقيام بذلك . ولا مشاحة في ان الابحاث التي اجريت في مصر الى الآن كانت قاصرة جداً ولا يبعد ان تؤدي الابحاث المقبلة الى اكتشاف رواسب مهمة جداً من التبر الذي في الصخور المتباورة والمتكتلة

وقد اظهر التعدين في بعض المناجم ولا سيما في منجى ام يارت وبرامية ماخصت به عروق الذهب في بعض الطبقات الصخرية في مصر من الغنى فان هذين المنجمين استخرج منها ما قيمته مئتا الف جنيه من الذهب الابرز من كمية قليلة من التبر والدلائل كلها تدل على انه لا يبعد ان يعثر على عروق تكون غنية بتبر الذهب مثل العروق التي عثر عليها في الايام الغائرة .

النحاس — موجود في اماكن عديدة ولكنه لا يؤمل ان يكون من استخراج ربح يذكر في اي مكان من الاماكن التي فيها تبره .

الرصاص — موجود في الطبقة الطباشيرية المتوسطة من طبقات الاعصر الثلاثية وفي الصخور الكلسية التي في سواحل البحر الاحمر بين الدرجة ٢٦ والدقيقة ٣٠ والدرجة ٢٤ من العرض الشمالي بكثرة تدعو الى البحث عنه على نمط عظيم . وقد اهتم بأمره في جبل الرصاص منذ اربع سنوات او خمس .

الزمرد — في سقايط وأم حربة وسواها مناجم قديمة لاستخراج الزمرد وبعض هذه المناجم كبير جداً وقد بلغ العمل فيها اعظمه في العصر «اليوناني الروماني» واستأنفت شركة من شركات المسترستين العمل فيها على نمط صغير فعثرت على حجارة جميلة من الزمرد ولكن الشركة لم توال العمل ولا كانت مهتمة به الاهتمام اللازم علاوة على ان احوال المعيشة في الصحراء الشرقية كانت غاية في الصعوبة ولم تكن اسباب الوصول اليها سهلة في تلك الايام مما جعل مواصلة العمل فيها ضرباً من المحال

الزبرجد — يوجد منه حجارة جميلة في جزيرة القديس يوحنا (جزيرة الزبرجد) الواقعة ازاء رأس بناس في درجة ٢٤ من العرض الشمالي . وفي هذه الجزيرة شركة انكليزية فرنسية تستخرج حجارة الزبرجد منها الآن

المتغنيس — يوجد او كسيد المتغنيس في شبه جزيرة سيناء وهو طبقات متسعة في دوائر كبيرة يبلغ مسطح الدائرة منها عدة أميال مربعة وهذه الدوائر تعد الآن ليستخرج منها المتغنيس حينما تسهل سبل النقل والشحن .

الحديد — يوجد طبقات متسعة من معدن الحديد الى الشمال من رأس بناس ولكنه يحتوي على كمية كبيرة من التيتانيوم ولا ينتظر ان يأتي في حالته الحاضرة بفائدة اقتصادية تذكر

الفوسفات — القطر المصري اغنى بلدان العالم بصخور الفوسفات وهي توجد بمقادير عظيمة في سواحل البحر الاحمر بين الدرجة ٢٦ والدرجة ٢٧ من العرض الشمالي وفي الضفة الشرقية من النيل جنوبي قنا وفي الواحشين الداخلة والخارجة . اما الطبقات التي في سواحل البحر الاحمر فان شركات عديدة تعمل فيها الآن لاستخراج الفوسفات منها وكل الدلائل تدل على انها ستنتج نجاحاً باهراً . والافكار متجهة الآن الى استخراج فوق الفاسفات (سوبر فوسفات) والابحاث جارية الآن في ذلك

الزيت — تقدمت الابحاث التي بدئ بها في خليج السويس منذ بضع سنوات تقدماً عظيماً فثبت منها ان مقادير كبيرة جداً من زيت البترول موجودة على عمق غير بعيد في رأس جمسه . والزيت الذي ظهر هناك من اعلى الاصناف واجودها وهو يحتوي من ١٥ الى ٣٠ في المئة بنزيناً ومن ٣٠ الى ٤٠ في المئة من زيت الاضاءة وقليل من الزيت الثقيل الذي يستعمل في تزييت الآلات ومن ٣ الى ٦ في المئة من الشمع ولا يحتوي شيئاً من زيت الوقود او الفضلات . ولكن مستقبل الزيت في القطر المصري يتوقف بالاكثير على وجوده في الطبقة الرملية التي يختلف عمقها بين ٢٦٠٠ و ٣٥٠٠ قدم فاذا ظهر من المباحث التي يجريها الآن انه موجود في هذه الطبقة صارت مصر في مقدمة البلدان التي تستخرج الزيت

الملح — موجود في القطر المصري بمقادير كبيرة جداً وتختلف سماكة الطبقات الموجودة فيها من بضع اقدام الى الف قدم
الصودا — توجد كربونات الصودا بمقادير وافرة جداً في وادي النطرون والصحراء الغربية .

حجارة البناء الثمينة — في الصحراء الشرقية بالقطر المصري اجمل انواع الحجارة التي تستعمل في زخرفة الابنية وتزويقها واشهر هذه الحجارة واحملها كلها الحجر السماقي الاحمر (البرفير) الذي في مقاطع جبل الدخان والحجر الناري اللامع (دبوريت) في مقالع كلودي باتوس

صلصال الخزف — في القطر المصري نحو ستة آلاف نفس يشتغلون بصنع مواعين

الخزف البسيطة . والاثربة الصالحة لصنع جميع الانواع من الخزف القاسي المشوي والمواسير موجودة بكثرة في مصر ولكن لا ينتظر ان تنقدم هذه الصناعة الى حد تصير كافية لسد حاجة القطر واصدار شيء منها الى الخارج الا بعد ان تحل مسألة الوقود وترخص اثمانها ويسهل الوصول اليها

الوقود - لم يبحث الى الآن عن الوقود عدا زيت البترول بيمثا وافيًا . والحطب المتحجر في صعيد مصر لا يقابل بسائر انواع الفحم التي ترد من الخارج فهو والحالة هذه من ادنى انواع الوقود واقلها قيمة ولكنه يحتوي على كمية كبيرة من الكربون وقصد يمكن تحويلها الى غاز محترق بواسطة احد الاجهزة الملائمة فاذا تحقق ذلك سهل الانتفاع بالطبقات الدلغانية التي تكثر في الصعيد واستخدمها في ادارة الآلات الرافعة وغيرها من الاعمال الصناعية .

وقد لا بعد ان يوجد الغاز في الحالة الطبيعية بجوار السوبس وحلوان والاحوال الجيولوجية هناك تجعل على اجراء المباحث بهذا الصدد

القم - لا دليل الى الآن يثبت وجود الفحم في مصر ولكن يحتمل العثور على فحم تجاري في شبه جزيرة سيناء اذا بحث عنه بحثًا منظمًا الا ان معلوماتنا الجيولوجية القليلة عن تكوين الصخور الكربونية في سيناء لا تحوّلنا ابداء رأي قاطع في هذه المسألة المهمة .

دول الحضارة

بحث احدي المجلات الاوربية عن مساحة الدول الثلاث المانيا وانكلترا وفرنسا وعن عدد نفوسها وثروتها العامة وواردات سكانها وحكوماتها وتجارها الخارجية ومحمول بواخرها التجارية والبحرية وقد جاء فيها مايلي :

مساحة اراضيها	عدد سكانها	زيادة النفوس
المانيا ٥٤٠١٨٥٨	٦٤٦٩٢٦٠٠٠	١٣٠٦ في الالف
انكلترا ٣١٣٠٦٠٧	٤٤٦٩٠٢٦٠٠٠	١١٦
فرنسا ٥٣٦٦٤٦٣	٣٩٦٦٠٠٦٠٠٠	١٠٨

الثروة العمومية

الثروة العمومية

الواردات السنوية العامة

الواردات السنوية العامة

٥٠ مليار فرنك

٣٤٠ مليار فرنك

انكلترا	٣٢٠	٤٥	-
فرنسا	٢٨٧	٣٥	-
واردات الحكومات سنوياً (عن سنة ١٩١١)			

المانيا	١٠	مليارات فرنك	
انكلترا	٥	-	-
فرنسا	٥	-	-
التجارة الخارجية			
المانيا	٢٤	مليار فرنك	٣٠٢٣ الف حان
انكلترا	٢٧	-	١١٦٨٣
فرنسا	١٤	-	١٤٦٢
محمول السفن الحربية			
المانيا	٩٩٥٤٠٠	طن	
انكلترا	٦٠١٦٥٠٠	-	-
فرنسا	٦٤٣٠٠٠	-	-

فضل القراءة

خطب ارنت لافيس عالم الفرنسي ومؤرخهم في إحدى مدارس الري في فرنسا خطبة على من اتقوا دروسهم من أبناء الفلاحين قال : يا ولادي الاعزة . اخاف ان يكون بين من يغادرون منكم المدرسة الآن اناس يقولون في انفسهم : لادروس ولافروض ولادفاتر ولاكتب خلصت من كل هذا . فالى امثال هؤلاء اوجه كلامي اريد ان ازيل عنهم ما اتخدعوا به . كلا ايها الاصحاب الصغار ليس الامر كذلك ولم يبق عند هذا الحد . فان زمان الدراسة قصير لا يثاقى تخريج رجل في خلاله فالارجب ان تطلوا على طلب الاستفادة والتعلم ولكنكم ستقولون اننا مضطرون ان نعمل لتعلم كيف نعيش . اعرف هذا وثقوا بانني لا ارجب في ان يقضي جماع الفرنسيين حياتهم على نحو ما يقضيها اهل صناعاتي في القراءة والكتابة جالس على الكراسي . فسترون الآن بانني لا اطالبكم بما يشق عليكم القيام به . معا كان نوع الحرفة التي تخرّفون بها .

يجب عليكم ان لاتنوقعوا من اساتذكم كل تهذيكم وان تعلموا ان تكونوا اساتذة انفسكم فانتم لاتدركون كم يعمل المرء في انهاض نفسه اذا اراد . وما من امرىء ينهض بكم اكثر من نهوضكم بانفسكم . اني امل باديء بدء منكم ان تبقوا كتبكم المدرسية عندهم وربما لم تكن تروقكم مطالعتها واستظهارها واللعب يشغلكم ولكنكم الآن لستم مضطرين الى تلاوتها لاستظهارها بل تلوونها متى راقكم وعلى النحو الذي يروقكم . بعد ايام قليلة اذا احطرت السماء ذات يوم او كان اليوم يوم احد تذكروا بان الصفحات الفلانية من الكتاب الفلاني قد اعجبتكم فاعيدوا قراءتها وانى لا عجب اذا لم تروكم اكثر من ذي قبل لانكم نفهمونها احسن لسببين الاول لانكم في سن النمو العقلي والثاني لانكم تقرأون لالتسعون بل للتلذذ .

في كل مديرية من مديريتنا دروس ومحاضرات تلقى على الكبار في الاعمار فاحضروها وفي كل مدرسة مكتبة فاستمعوا من كتبها وابتاعوا كل مدة كتاباً ولا تكتروا بل اكتبوا بثلاثة او اربعة كتب في السنة فالتكتب اليوم رخيصة وبضعة فرنكات تكفي لان تولفوا منها مكتبة حافلة بالجملة وتصبحون مثلاً لابناء الطبقة الوسطى ممن لاتحدثهم انفسهم ان يبتاعوا كتاباً واعتنوا بها كان نوع المسكن الذي تسكنون فيه ان تنصبوا لكم لوح خشب تضعون عليه كتبكم وغطوها لتأمن من الغبار والوثائق . ومن اللائق ان تكون الكتب مغطاة احسن تغطية واذا تقدمتم قليلاً في السن عودوا انفسكم تلاوة الجرائد فيجادون في جرائد الشعب مادة تنيرون بها عقولكم في الحوادث العظيمة التي تجري في بلادكم وجميع بلاد العالم

انتم هنا من ابناء المزارعين وستكونون كذلك في مستقبلكم والشتاء والليالي طويلة في المزرعة فالاولاد يرقدون في فرشهم والحيوانات في حظائرها ولاشيء يشغلهم في الليل فكيف بقضاء الوقت في النافع وقد كان الزارع في القديم يحبك كزوجته جوارب وغيرها وقد اعملت هذه العادة . وقيل لي ان عادة قضاء السهرات والزيارات بين الجيران قد بطلت ايضاً . دقائق الساعة يروح ويحيى في السكون فكأنه بعد الحياة قطرة قطرة ويقول عند كل دقة ما قد سقطت نقطة اخرى والمرء من وراء ذلك يكشب ويمل . ولكل حرفة ساعات من الملل تشبه هذه

افزعوا اذا انقطعتم عن العمل لتلاوة كتاب واقروا بصوت جهوري وكرروا ما تقرأونه فقد كان خالي في هذه القرية شاباً فلاحاً وهو يتلو قصص لافونتين آونة

فراغه لم يبق على غيرها من كتبه المدرسية فكان يتلوها بتدبر سيفه خلواته وجلواته بصوت عال وبأدبها تأدب وبحكمتها قضى حياة طيبة اوقات الفراغ فدفعت عنه المال اما انتم فعصركم عصر لا يجوز فيه اللغو فقد طويت المساف في الارض وكانت من قبل واسعة الاطراف بحيث تكفي المرء الآن بضعة اسابيع ليطوفها وبعض الثواني لتبعث بفكرنا بل بصولنا الى بعد الوف من الكيلو مترات وقد قربنا من السماء والنجوم قريبة من مجر الراصد والتبر بما فيها من الاودية والجبال المرسومة على خارطة كأنها تشير وتنادي ببعثة يبعث فيها . وقرب ما بين القطبين الشمالي والجنوبي وارباب الرحلات اقتربوا منها واببال قد خرقت وجعلت في بطونها الاتفاقيات والطيارات تحوم من فوق قممها والثلوج ترى عليها من قربها الى قدمها والترع تحيط بالارض وقد فتحت والصحاري بعدت الا بالديد الذي يخرقها وحام الآت يخططون سكة حديدية بين المحيط الاثلاثيكي والبحر الهندي والبحر الرومي والبحر الجنوبي . وممالك اوربا القديمة لنشي ممالك في القارة السوداء . وسيكون من هذا الاختلاط اجناس جديدة وأمم لا يعلم مستقبلها كما لم يكن يعلم مستقبل اوربا منذ خمسة آلاف سنة حكما مصر ولا بلاد كنعان . لم تكن اوربا في عصر من العصور تعمل منها الآن اخذت شعوبها بتعاب وماقط احب احد وطنه حبه له الآن والحروب وان انتشبت فسيأتي يوم نقصد كل الامم معبد الهاي او قصر السلام الذي يؤمل دعائه ان تبث كبتهم في الشعوب فتبطل الحروب .

الامم تطمع في الحرية اكثر من قبل وبها التيجان قد اصفر وفي كل مكان انتشر الفكر الديمقراطي واضطر الحكومات الى العناية بكل ما يجعل الحياة موطدة الاركان . والعلم لا يزال يرلني في المكاتب والمعامل الكيماوية والصناعية وفي كل يوم خبر عظيم . اول امس بلغنا ان يابانيا من تلامذة باستور اكتشف في معمل كيماوي في اميركا ميكروب الكلب وامس وصل علم الطيارات في الهواء الى ماوصل فذاذا تعلم غدا .

ولذا اوصيكم ان لا تبقوا منعزلين عن هذه الحركة وجاهلين بزمانكم وبلادكم اي اناسا بدون تاريخ ولاوطن . انكم بذلك تنحطون ولا يكون لكم مائفاخرون به فعليكم ان تتعلموا بكل الطرق : باطالة المكث في المدرسة ، بالقراءة ، باطالة الروية في تجارب الحياة . نفومون اليوم بشي وغداً بأخر ولا تزالون على التدريج زداد

معلوماتكم ونفسق في رؤوسكم ونفشا مادتكم من الافكار والعواطف فتعرفون زمائنكم وتحسنون كيف تعيشون . واختم كلامي بتوصيتكم باقتناء لوح خشب تضعون عليه كتبكم واعدمكم باني اعطي لوحاً لمن يطلبه مني وهو مدهون وملع ايضاً اه .

المرأة القديمة

حاضر المسيو بئلفه من اعضاء مجمع العلوم في باريز نادي الطلاب في تلك العاصمة فيما كان لمرأة في القديم من التأثير العقلي والادبي ومما قاله : اننا نخيل باننا نتمور ونبتدع شيئاً جديداً لاننا نفتح السبل امام المرأة والفتاة اليوم للتوفر على دراسة العلوم والآداب والصناعات العقلية وهذا هم لاهقيقة وذلك لاننا نحن اخلاف الرومان مباشرة اولئك الذين رزقوا عقولاً تحب الحقيقة المجردة وفيها من المثانة شيء لا كثير ولكن هاهنا صيرة فصر سيوفهم نخدع بحجارة مجتمعتنا الحاضر ونظن اننا اثينا امراً فرياً . ولكن اذا رجعنا الى الامم التي كانت أعظم الشعوب في امسراك غيرها بثمرات الارثقاء البشري وكانت الموجدة الحقيقية للمدينة واعني بهم اليونان ومصر ولاسيا اشور يثبت معنا ان المرأة شاركت الرجل منذ العصور القديمة لا في الجمال فقط بل في البحث عن الحقيقة . والظاهر ان المرأة في تلك القرون التي كان فيها الرجال اقرب الى الطبيعة بماخصت به من الادراك هي الدليل البصير الفطري لقود الرجل في ابجائه الطويلة المعقولة المدققة . ولقد تجلى تأثير النساء المرافات عند جميع الشعوب اليونانية الذين كانوا تلامذة كهنة بلاد اشور وكلدية . فقد كان الفيلسوف فيثاغورس ناشر تعاليم العلم الاشوري في يونان يخنو على امرأته نيانو الجيلة حنو حب وعبادة ومن فلسفته ان الرجل اختص بالعقل والقوة المنطقية والمرأة بالنظر العقلي فاذا كان الرجل في هذا العالم الغريب في امراره مفكراً فان المرأة نائسة للافكار

وكان هذا الفكر الذي هو نتيجة الازمان القديمة والمأثور عن كهنة الوثنيين والبابليين على الجملة جماع العلوم المأثورة عن البشر وهذا الفكر هو الذي تترجم عنه للجمهور اساطير اليونان ومصر وما كان للمرأة من الشأن في مواظف الرحي الغربية فكان النساء العذارى في غابة دودون المظلمة المختصات بعبادة المشتري هن اللاتي كن يحسن التعبير عن اللغة البيلية المنبئة من البلوط المقدس وكان العذارى ايضاً في غابة سيكاوب عند عمد الكرك يستقبلون حجاج المصريين الذين يسألون المولى تعالي . ولقد قام في

دودون والكرك على ماجاء في اساطير هيلاد ومصر فتاتان أخذتا أسيرتين من مركب فينيقي وهما اللتان انشأنا المعبدتين واصبحتا كاهنتين وسماهما اليونان الزسولتين اي الناقلتين من بلاد القاصية الحقائق الجديدة .

الفلاح الغربي

يختلف التعليم في اوربا واميركا باختلاف البلدان فتعليم البلاد التي تغلب فيها الصناعات غير تعليم الاقاليم الزراعية والكور التي يكثُر فيها التجار غير الكور البحرية الساحلية وتعليم بلاد الغابات غير تعليم بلاد البقول والزروع واقاليم المعادن والمناجم غير تعليم الصيد البحري وهكذا يلحق اطفالهم التعليم الذي يناسبهم ويشعدي العلم قصور الاغنياء الى اكواخ الفقراء ويشترك بالثور المدني والقروي وترثي الامة بمجموعها والبلاد بحملة اطرافها .

ولقد عرف الغربيون ان العمل الزراعي يشبه معملا ومهما ثقلت عليه العناية والتدبير لا يزال عبارة عن منزل ولا يصلح الفلاح ان لم يصلح تدبير البيت وبذلك يتأق له ان ينتفع الانتفاع المطلوب من تربية الحيوانات والالبان كما ينتفع فلاح الدائيرك مثلاً فنقل وفيات الاطفال بانتشار المعارف الصحية ونقل الموبقات والسرقات بتعليم الفلاحين جوهر الدين الصريح وتعلم الام الفلاحة فتخرج الفلاحين الصالحين قالوا ان الغربيين اكثروا لفائدة الرجال من تأسيس المعاهد لتكميل الرجل الفلاح في صناعته ولم يكتفوا بالمدارس فقط بل عنت به الجمعيات وال نقابات وكشرت عليه المحاضرات والمسابقات والمعارض يرى فيها الادوات وتحسينها وانواع الزراعات ونموها وان بعض بلدان الغرب اقتصرت من تعليم الفلاحات القدر الكافي من الدروس الابتدائية وحسنت في فن الدجاج والمطبخ ومعمل اللبن يعملن ماخلفن له والفن فلم تحصل هن اُنسة بالاساليب الزراعية الحديثة لينتفعوا على ما ينبغي من الالبان والبيض والطيور

رأت بعض الامم ان المدارس الزراعية وغيرها لا تفيد الفائدة المطلوبة من انارة عقول جميع ابناء القرى القاصية كما تنار عقول القرى الدائرية فأنشأت مدارس موقفة سيارة تقب في القرية بضعة اسابيع تعلم اهلها ما يلزمهم من سائر حاجتهم وتقوم بعمليات مربعة وان كانت غير منتظمة قليلاً ولا تامة ولكنها نافعة في الجملة

لوسيرا مدارس للتخاديات ومدارس لاتقان تدبير المنزل ومدارس عالية لتعليم المعلمين والمعلمات في هذه الفنون وانشأوا في ايرلاندا وبولونيا وهنغاريا جمعيات نسائية وانشأ النساء في القسم الفلامندي من بلجيكا « اندية للفلاحات » وهي عبارة عن مجتمعات ومدرسة للنساء والبنات معا بل هي ضرب من الكليات الشعبية وفرع للاناث من مدرسة جامعة للعامة يعنى فيها بالتعليم الصناعي والاخلاق المحلية وهي لمن خير ملاحج ثووين

تكلم احدهم في جريدة الطان على هذه الاندية فقال ان برنامج التعليم فيها يدهش بسعته وقد تبين مع هذا انه اسفر عن نتيجة حسنة لما دار من الكلام عليها في المؤتمر الدولي الثالث الذي عقده القائمات بهذا الامر من البلجيكيات في مدينة غاند فظهرت بالارقام فائدة هذه الاندية التي بلغ عددها في تلك البلاد الصغيرة فقط ١٨٣ منتدى فيه من الداخلات ٢١٤٠٦ نسوة وانتشرت الاندية في بولونيا والولايات المتحدة وغيرها انتشار الحانات من جديد في بلادنا . اما برنامج الدروس التي تعلمها الاندية للبنات والنساء فهي علم ولادة الاطفال وتربية اجسامهم وعلم التربية والتعليم وصحة البيت والاصطبل وقواعد التغذية المتقوية الاقتصادية ومضار الالكحول والاسعافات الطبية الموقفة للمرضى والجرحى ونظام الفن واصول عمل الجبن والسمن وتربية الطيور وتربية الاشجار وتربية النحل وتعهد المياقل وعلم عمل المربيات والحلاوى وعلم الحساب ومضار الاشتراء بالدين والخياطة وتفصيل الثياب والغسيل والكي واحترام التقاليد واطاعة مبادئ الاخلاق الدينية .

وبالجملة يتعلمن دائرة معارف مختصرة سهلة يتعلمها بناتهن ونسائهم في القرى لينجبن فلاحين صالحين ويتوفرن على حسن استثمار الثروة من الاراضي والحيوان ويمشن بمش المرفهات الطاهرات المقتصدات والنساء في بلجيكا هن اللاتي اخذن على عواتقهن هذا الواجب مع القسيسين وفي اميركا يتولى ذلك المبشرون والكهنة وكذلك في بولونيا .

